

سلسلة النقد الأدبي التطبيقي
(٩)

الدكتور محمد علي أبو حمدة
Ph. D. في النقد الأدبي
من جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة
M. Litt. في النقد الأدبي
من جامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة
عضو هيئة تدريس بالجامعة الأردنية





مكتبة
الأقصى

سلسلة النقد الأدبي التطبيقي

(١٥)

الدكتور محمد علي ابو حمدة

ph.D. في النقد الأدبي من جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة M.Litt. في النقد الأدبي من جامعة اكسفورد بالمملكة المتحدة أستاذ مساعد بالجامعة الأردنية بعمان.

في التذوق الجمالي
سلسلة النقد الأدبي التطبيقي (١٥)

سلسلة النقد الأدبي التطبيقي
(١٥)

الدكتور محمد علي ابو حمدة
ph.D. في النقـد الأدبي مـن
جـامعـة لانكستـر بـالمملكـة
المتحدة M.Litt. في النقد الأدبي
من جـامعة اكسفـورد بـالمملكـة
المتحدة أستاذ مساعد بـالجامعـة
الأردنية بعمان.

في التذوق الجمالي

للآيات الثلاثين خواتيم سورة البقرة
مع تركيز «الإضاءة» على آيات
الرِّبا في النسق القرآني الكريم

مكتبة الاقصى
عمان ـ الاردن

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ
فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ

تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ
لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ
أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟
صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾
وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ

لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾
ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟
فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ

ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ
كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ
ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ
مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ
مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ
وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢
۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد ﷺ، وبعد:

فهذه الاستجابة الخامسة عَشْرَةَ لمشروع سلسلة النقد الأدبي التطبيقي أرْدتُه أن يكون الحِوارَ المُستمِرَّ للنصوص الرائعة في لغتنا العربية المُشَرَّفة (بصيغة المجهول). إنَّه بإذكاء الحوار مع النصوص وحولها يكون ثَمَّة جِدَّةٌ للنصوص في عيون الرَّائين والمتوسمين. ولمَّا كان التذوق النقدي ذاتياً في أوَّله، فإنَّ هذا التذوق حين تعطيه لُغَةُ الحوار أسبابَ التواصل الفكري ومسِّوغ الكينونة الشرعية ـ يغدو في التراث الفكري الذي يضيف إلى «أفقية» الرؤية النقدية افقاً جديداً، والذي يضيف إلى مستويات الاستشراف النقدي مستوى جديداً. ويقيني أن لو ظفرنا بدراسات نقدية منظمة لروائع نصوص العربية يوم كانت

العربية سليقة وفطرة ويوم «أتى الـزمان بنـوه في شبيبتهم فسرَّهم» وإذ «الشبـاب شبـاب والزمـان غلام» لكـان للنصوص في السَّـاحـات العـامـة منهـا والخـاصـة احتفـاءاتُ غيـر الـذي نشـاهـد ونـرى، ولكـانت النصـوص هي عـابـرة المـواد والمسلقات وموضوعات السمر والمنتديات، وهي المحركة لـلأذهان والمنشـطة لـلأفكار وأسـاليب البيان. ومن هـا هنا، فـإنني أناشـد ذوي النفـوس الشفـافـة وأصحاب «التهاب الطبع وحـدَّة القريحـة» أن يُولـوا أمر الحـوار مع النصـوص وتقرِّي مواطن الجمال فيها عناية أوفى وأن يسجلوا فيها وحولها ما أسعف عليـه الفكـر وانقدح لـه زناد الخـاطر. إنَّ الـرأي بالـرأي يفلح وإن التذوق بـالتـذوق ليضيف الى زاد العربية زاداً. فكيف إذا كانت العربيَّـةُ مادَّة الإسـلام وكتاب الله تعالى الممتد بين السماء والأرض والحجة على الثقلين إنسهم وجِنِّهم؟.

وقد كان لي في حجرة الدرس مع طلابي في جـامعة اليـرموك في شمـالي الأردن شَـرَفُ دراسة الآيـات الثلاثين خـواتيم سورة البقـرة فكان أن استـوجب المـوقفُ التذوقَ الجمـاليَّ للنسق القـرآني الكـريم. والتـذوق المُثبتُ في هـذا الكتيب إنمـا هو ثمـرة هذا التـذوق ومحاولات الفهم فيـه. فإنْ وجـد القـارىء الكريم فيه مَسَرَّةً فبها ونِعْمَتْ، وإنْ كان غير الذي نريد فحسبنا أننـا اجتهدنـا و «ما علينا أن تتم عواقبه» ويسرُّنا أن نسمع وأن نرى.

والله تعالى أسألُ أن يكـون هذا «الاجتهـادُ» في حسناتي يـوم العَرْض على وجهه الكريم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلب سليم.

في التذوق الجمالي للآيات الكريمة

على قمَّة الهرم البنائي للوجود يأتي الله تعالى. وما أحسنَ قولَه تعالى «الله» في بداية الآية وتصديراً لهـا. فمن كان مُؤْمِنـاً، فإنَّ لفظة الجلالة تضعه في موقع الثقة والأنس وكبرياء الحَقِّ أنه قـويٌّ بربـه تعالى، ومن كـان غير ذلـك فلفظة الجـلالة تصعقـه الصعقــة تسـري في بــدنـه قبــل أن يتـاح لــه أن يستمـع الى التفصيـلات. فإن كـان في نفسه منـازَعَةٌ إلى الحقِّ والإذعـان له فستكون اللفظة ببداية الآيـة قد كـان لها خمسـون في المائـة من مناخ التأثير والإقناع فهي قد هزَّت كيانَه هَزَّاً وهي قد أعطته رَهبَّة نفسية قبل أن يتلوها الرجَّاتُ البيانية والفكرية والثقافية.

والجملة الأسمية في الطرف الأوَّل من الآية الكريمة تضع الله تعالى وجمهور المؤمنين في طرف بازاء أهـل الكفر والـظلام مَنْ تـولى قيـادَتهم وتضليلَهم على علم الـطَّاغـوتُ الأكبَــرُ وهـو إبليس اللعين.

وحديث الله تعالى عن نفسه جَلَّ وعَزَّ أنَّه وَليُّ المؤمنين في صراعهم مع طبقات الشَرِّ وطواغيت الكفر يضع المؤمن في مناخ الثقة الكبيرة، والاختيار الصحيح، والتسليم الكامل بصدق الرَّاية التي يحامي المؤمنون عنها. وإذا كان الله تعالى ليس بالمتفرج (وله المَثَلُ الأعلى) في ساحات الصدام بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر؛ وإذا كان الله تعالى يبدأ بنفسه في تولي القيادة ومناصرة الذين آمنوا، فذلك الدليل على أنَّه في الإسلام مَنْ تلكأ أو بَخِلَ بنفسه فكأنَّه يتلكأ أمام قيادة يتسلم رايتَها الله تعالَى ذاته. ويترتب على ذلك أنَّه وإن كانت إمامةُ رسول الله ﷺ قد مضت؛ وإن كانت إمامة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم جميعاً قد مضت؛ فإنَّ الله تعالى الذي هو حَيٌّ لا يموت هو الذي يقود بنفسه معارك الصدام مع الشر وطواغيت الكفر. ومَنْ كان الله تعالى يتولى ولايَته ومناصَرته فهو على الحق وجدير به أن يمضي قُدُماً غير معتذر بعذر وغير متلفت إلى وراء. وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم وهو كتاب الله تعالى ينبغي أن يتولى الولاية والقيادة لجمهور الذين آمنوا. وهذا يعني أنَّ المجتمع المسلم مأمور أن يُحَكِّمَ كتابَ الله تعالى في كل أمور الدنيا من القيادة العسكرية والرئاسة الفعلية الى إماطة العظم والشوك عن الطريق حتى تظل كلمة الإسلام هي العُليا. وهذا يعني أنَّ تَعَلُّلَ بعض المسلمين بالضعف وبالتدرج وبالاستعمار وبالتريث ليس أكثر من مضيعة للوقت. فإذا كان الله تعالى هو وليُّنا في معارك الصدام مع الكفر وأسلحته ومخابراته وتنظيماته كما تدل عليه لفظة طاغوت التي هي اسم مبالغة

فكيف ثمة نتلكأ أكثر وأكثر وأكثر؟!

وهذه الآية الكريمة عظيمة الدَّلالة على أنَّ أَمْـرَ المسلمين ينبغي أن يكـون واحـداً تحت رايـة القـرآن الكـريم وعلى أنَّ مصالح الكفر سوف تتحد في خاتمـة المطاف لتقف سـداً واحداً مع بعضها البعض ليس لأن بعضها يحب بعضها الآخر ولكن لإن الإسلامَ عَدوُّها الفطري كمـا هو النُّـور عدوّ الـظَّلام. ومن سياق الآية القرآنية الكريمة فإنَّ مقاصد الإسلام العليا تبدو وكأنَّهـا في معارضة تامة مع التفكير في أكثر من دولة إسلامية واحـدة تهيمن على الكـرة الأرضية بـالكامـل وتسعى الى التجمع الـذي يجعل القـرآن الكريم هـو وَلِيُّها في الأرض والسَّمـاء. ويبـدو أنَّ بَعْضَ فقهـاء المسلمين قد أجـازوا التعدد لكثـرة مـا رأوه من صعـوبـة المواصلات وكثرة ما واجهوه من أخطار وتحديات بل وإحباطات وبخـاصة في عصـور انحـلال سـلالات بني أميـة وبني العبَّـاس والمماليك. ولكن بعد أن تأكـدت كرويـة الأرض وصغرهـا أمام وسائل النقـل والاْتصال وبعـد أن تبين حجم الدولتين العـظميين في السيطرة على مقاليـد الأمور على الكـرة الأرضية في عصـرنا الحاضر يتضح صفـاء الـقـول في دولة إسلامية واحدةٍ: القرآنُ الكـريم وليُّها؛ وأعـداء الحياة والنـور وطواغيت الشـر وفلولهم: هدَفُها، ومـادَّةُ سهرهـا. إنَّ الحديث عن أكاسرة مسلمين وأباطرة مسلمين ورؤساء دول مسلمين يبدو في مفارقة عجيبـة مع سيـاق الآية القرآنية الكريمة وطريقة بنائها. ولذلك كان فضـلاً كبيراً أن هُدي صلاح الدين بن أيوب أن يدعو نفسـه بالسلطان وأن يـدعو

للخليفة العباسي في بغداد رغم ما كانه الخليفةُ من نفوذ لا يكاد يجاوز نفسه. ولكن يبدو أن صلاحَ الدين كان قد وعى بقلبه وفهم عن ربِّه المقاصد والمرامي فأبى أن يكون في الإسلام خلافتان ـ حتى تتضح خريطة العالم الإسلامي.

ولمَّا كان كتابُ الله تعالى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ومن خلفه، ويجاوز بعدي الزمان والمكان، فإنَّ المسلم الذي يفهم عن ربِّه دلالات اللغة العربية والمعمارَ البنائي للقرآن الكريم لَيُدْرِكُ أنَّ وحدة الدولة الإسلامية في صراعها مع الكفر لهي «مدلول» يتأبى على الإنشطار، وعلى التشرنق، وعلى التقزم، وعلى دعاوى الأخوية والشقيقية. أمَّا أن نكون سرايا قائد واحد فبها ونِعْمَت؛ أَمَّا أن نكون سَرايا تأتمر بأمر نفسها ومن عند ذاتها فذلك يتنافى ومقاصد الآية القرآنية الكريمة التي تجعل الذين آمنوا معسكراً واحداً وواحداً فقط وَليُّه الله تعالى. فإنْ صار أَمْرُ ولاية الحق الى أحد من المسلمين الذين قد يُنْعِمُ الله عليهم بفضله فإنَّ وَصِيَّتي له عبر هذه القناة الأكاديمية والتذوق لأنساق الكلم في القرآن الكريم أن يحتوي العالمَ الإسلامي من أقصاه الى أقصاه في أكبر عملية توحيدية لا تترك لغير القرآن الكريم مكاناً لولاية أو استرشاد أو حكم أو اجتهاد أو اتخاذ قرار. ومن غُصَّت نَفْسُه بذلك فعلى الدولة الإسلامية أن تَظَلَّ تحاصِرُه حتى يستسلم كما تحاصر الظلامَ جُنودُ الصَّباح. إنَّ هذا هو المنطق الذي تُقَرِّرُه الآية القرآنية الكريمة ولا تقرر غيرَه. فمن كان يفهم دلالات العربية فليأتِنا بمنظورٍ غير هذا الذي قد فَصَّلناه وبسطنا فيه القَوْلَ.

ومن هذه الإطلالة في هذه الآية الكريمة التي تُبَشِّر بميلاد دولة إسلامية واحدة تُـظَلِّل أهل الكـرة الأرضية بكـاملهم إلاَّ مَن أبى، وتـأتي في انسجام تـام مع معـطيـات الحضـارة الحـديثـة والمخترعات الكثيرة والتطور الكمي والكيفي في أجهـزة الحكم وأساليب الإدارة ـ فإنَّ كاتب هذا التـذوق ليُحِسُّ أنَّ التفصيل في أمر «الرِّبا» وموقعه من نظام الحكم المنتظر له دَلالاتُه المتوهجـة حَقَّاً حين يُبدأ بإقامة المداميك الأولى للحياة الإسلامية الفاضلة. يؤكـد ذلك وَيُعَـزِّزه أنَّ الرِّبـا ما كـان له الـدَوْرُ الخطر الـذي قد فـاضت المصادر الإسـلامية بـالحديث عن نجـاسـاتـه وأخـطاره المنـظورة وغير المنـظورة في المجتمع المسلم في طـول العُصُر الخوالي كما سيكونه على أعتاب بناء الدولة الإسلاميـة الواحـدة الجـديدة. وهـذا يعني أنَّ التهويـل بحجم المضار المتـرتبة عن ممـارسة الـرِّبا حتى «ليكـون الرِّبـا أكبر من ثـلاث وسبعين زنية تحت أستـار الكعبة» ـ سيكـون له تـوظيفهُ المنـظورُ في الـدَّولـة الإسلامية القادمة لا محالة. وهذا يعني أنَّ نوعيـة النظام المـالي والاْقتصادي الذي ينبغي أن تقـوم عليه أركـانُ الدَّولـة الإسلاميـة المقبلة آن له أن يكون صافياً من هذه الآفة وملابساتهـا والدوران حول نصوصهـا صفاءً لا يشـوبُه مـا يكدِّره مهمـا كانت الأسبـابُ والنوايا والتمحُّلات والأعذارُ والحُجج والاجتهاداتُ. وإذا كـانت دول كبرى في عصرنا الحاضر اكثر من يمايزها بعضها عن بعض هو نوعية النظام الاقتصادي الذي يحكمها فذلـك مؤشر على مـا سيكونه الرِّبـا من خطر على الـدولة الإسـلامية الـواحدة إنْ هـو تسلل الى الأفراد والمؤسسات وأنظمة الدولة تحت أيِّ ستار وأي

قناع وأي وجه مستعار. وعند ذلك ستبدو المحاذير التي أطلقتها كتب النصوص الإسلامية في الحجم المهول حَقّاً حين يراد لصفاء الدولة الإسلامية أن تُعَكَّر بطريقة أو بأخرى من خلال تمرير اجتهادات ظاهرها المنفعة العامة وباطنها تقويض النظام الاقتصادي الإسلامي من داخل. وعند ذلك ستبدو هذه المحاذير في الحجم الكبير الذي يضع مُشَرِّعي الدولة الإسلامية في أمثال الجبال رسوخاً وعملقة على أنَّ الحكم الإسلامي في هذه الأمور ينبغي أن يَظَلَّ في مثل الصَفاء الذي رسمه القرآن الكريم ولو اجتمعت الدنيا على غير ذلك. لا وَهْنَ ولا ضَعْفَ ولا تراخي في أخذ الأمر بمنتهى اليقظة والحيطة. وسيعلم الذين سيَمُنُّ الله تعالى عليهم في إقامة الدولة الإسلامية الواحدة أيَّ حلاوة لقولي هذا المتواضع حتى يتعالى نظام الإسلام متميزاً بنفسه عن أدران الشرك وأوساخ التشريعات الوضعية التي يأكل الربا فيها وُجُوهَ النَّاس ودماءَ عروقهم وشرَفَ أعراضهم وكبريائهم. ولا تَقُلْ لي إنَّ ما جرى في لبنان هو تصديق الذي تقول، ولكن ما توحيه دلالاتُ الآية الكريمة والحديث عن الربا ومثل هذا الحديث يَدُلَّ على أن جميع أنظمة البشر سوف تُمنى بما يجعل أَمْرَها في الأذلِّين تماماً ورهن الظلام والكفر وكل مجتمعات السقوط والرذيلة والقلق النفسي والاضطراب العَصبي وسوء المآل والمنقلب ـ والعياذ بالله تعالى.

والتقدير الإعرابي للآية الكريمة ـ كما يراه كاتبُ هذا التذوق هو:

اللهُ : لفظ الجلالة مبتدأمرفوع.

وليُّ : خبر مرفوع وهو مضاف.

الـذين : اسم موصـول مبني على الفتح في محـل جـر مضـاف إليه.

آمنـوا: فعل مـاضٍ مبني على الضم لاتصالـه بضمير الجمـاعة والواو فاعل والجملة الفعلية صلة الموصول لا مَحَلَّ لها من الإعراب.

يُخْرِجُهُمْ: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير منستتر تقديـره هو يعود الى الله تعالى.

هُمْ: ضمير متصل مبني على السكـون في محل نصب مفعـول به. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ المحذوف تقديره: «اللهُ» يفهم من القرينة من مبتدأ الآية الكريمة.

إنَّ القول على أن التقديـر هو الله يخـرجهم من الظلمـات الى النـور على الابتداء لهـو الذي يجعـل أمر الـولايـة في هـذا الشأن شأن الله تعالى. وإذا كانت الأمور تستند إليه ابتداء فمعنى ذلـك أن يكون الحكم كله لله تعـالى وأن يكون القـرآن الكـريم ليس مصدراً من مصادر التشريع (كما هي فبركة الدول الوضعية) ولكن أن يكون القرآن الكريم هو صاحب الولاية في التولي لأمر المؤمنين وفي عملية الهداية المستمرَّة للعقـول والقلوب والأبصار في كل جيل وفي كُلِّ ساعَةٍ من نهار.

والجار والمجرور «من الظلمات»
متعلقان بالفعل يُخْرِجهم.
والجار والمجرور «إلى النور»

وواضح من قوله تعالى «آمنوا» بصيغة الماضي أنَّ الاستعداد لتلقي ولاية الله تعالى وتصفية بواطنهم (المؤمنين) من الأغيار وعتمات الكفر والشك والوساوس والوَهَن ـ لن يبدأ ما لم يكن الإيمانُ قد رَسَخَ بالفعل وأصبح في حكم الذي قد مضى على رسوخه وقت. وحتماً فإن المقصود بهذا السياق هم المؤمنون في كل زمان ومكان الذين تتوجه قلوبُهم إلى الله تعالى ويكون أمرُ إيمانهم قد جاوز مرحلة الإسلام إلى الإحسان إلى الإيمان الذي قد أصبح تالداً أو قل راسخ الجذور. أي أنَّ هذه المعادلة تظل تنعقد ما دام هنالك استعداد للطاعات وصَبْرٌ عليها وتوجُّهٌ إلى الله تعالى بالكُلِّيَّة. ومعنى ذلك أنَّ الدولة الإسلامية يظلُّ أمرُ قيامها قائماً ما دام اللهُ تعالى قد تأذَّن أن يكون وليَّ الذين آمنوا بإزاء تحشدات الكفر وطواغيت الباطل. أمَّا أن يكون الله تعالى إنما عنى هنا المهاجرين والأنصار وحدهم فذلك ما ينقضه الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار. وإذن يكون تحصيل حاصل أن يكون المهاجرون والأنصار رضوان الله عليهم قد أفادوا من المعادلة الربَّانية وقطفوا ثمارها بالكامل فدانت لهم الدنيا وذلَّت أمامَهم التيجانُ والعروش ويظَلُّ البابُ مفتوحاً لأمة محمد ﷺ أن يقطفوا ثمارَ هذه المعادلة الرَّبانية إن استطاعوا أن يفلتوا بأنفسهم من شِباك الكسل والوهَنَ والتخطيطات الاستعمارية والتغريقات المستنقعية التي للأسف

قـد آمن بها بعض متنفـذة العـالم الإسـلامي إغـراقـاً لشعـوبهـم بـالرذائـل كي يصدوهم عن التفكيـر بالسِّياسة . وما دروا أن الله تعالى هو الـذي يُعِزُّ ويُـذِلُّ، بيده ملكـوتُ كل شيء، وهـو على كل شيءٍ قدير.

لاحظ إفراد الضمير العـائد إلى الله تعـالى في قولـه تعالى «يخـرجهم» بما يعـزِّز التوحيـد ووحدانيـة الله تعالى في مقـابـل «يخرجونهم» التي تعود الى الطَّاغـوت. وهذا دلالـة على أنَّ الله تعالى هو الأول والآخر والظاهـر والباطن عبـر المكان والـزمان؛ وأنَّ «الطَّاغوتية» يتعاقب عليها أبالِسةٌ متفرقون في المكان والزمان وأُنـاسٌ متفرقـون في المكان والـزَّمـان ومؤسسـات ودول وأقـطار وأجهزة مخابرات أيضاً. وهذا دليل بعثرة وضعف وتفرق وخذلان من جانب طواغيت الكفر والشر والرذيلة إن كان ثَمَّةَ فِئَةٌ مؤمنة أو قد آمنت بحيث استحقَّت ولاية الله تعالى لها وعليها.

لاحظ طريقة المقابلة بين المعسكرين:
اللهُ ولي الذين آمنوا.
في مقابل.
الذين كفروا أولياؤهم الطَّاغوت.

إنَّ ذلك لا يجعل للطاغوت حَظَّاً ليكون النظير لله تعالى مهما كان النَّظيرُ هزيلاً. حتى شرف النظيرية قد حُرِمها (بصيغة المجهول) الطاغوت وما كان له لينال في الخير شيئاً.

ولذلك فإن الصورة المقابلة هي صورة بعثرة الكفر وشراذم

الباطل وفلول الظلام. وعلى الجناح الأبعد منهم باتجاه الإهمال والخِسَّة والضلال يأتي عميدُهم الطَّاغوتُ: شيطاناً أكان أم دولة أم مؤسسة أم حركة أم رئيس عُصابة أم رئيس قطيع الخ الخ الخ. والذين كفروا أولياؤهم كُثْرُ لأنَّ قلوبَهم شَتَّى، وأهدافهم مختلفة. ولا كذلك الفئة المؤمنة في الدولة الإسلامية الواحدة التي تكون أهلاً لولاية الله تعالى لها وعليها حين يكون كتابُ الله تعالى هو صاحب القرار وهو وحده صاحب القرار في الدَّولة الإسلامية الواحدة.

وتقدير الإعراب كما يراه كاتب هذا التذوق هو:

الذين : اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.

كفروا : جملة فعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

أولياؤهم : مبتدأ ثانٍ (مضاف ومضاف إليه).

الطاغوت : خبر المبتدأ الثاني.

والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول.

ويكون التقدير:

الطاغوت : مبتدأ محذوف.

يخرجونهم : فعل وفاعل ومفعول به (الفعل مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة) والجملة الفعلية خبر المبتدأ المحذوف الذي يعود الى الطاغوت.

من النور الى الظلمات : جارّان ومجروران متعلقان بالفعل «يخرجونهم».

أولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون:

أولئك : اسم إشارة مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.
أصحاب النار : خبر المبتدأ.
هم : مبتدأ (ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع).

خالدون: خبر المبتدأ مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم.

فيها : جار ومجرور متعلق بالخلود في النَّار.

وأولئك ـ كما يراه كاتب هذا التذوق ـ تعود الى الذين كفروا والى الأولياء والى الطاغوت. وتقديم الذين كفروا دليل على أن هؤلاء أقل الدرجات كفراً بالقياس الى الرؤوس الكبيرة التي تقطر حقداً واضطِّغاناً وعداوة للذين آمنوا.
ينبغي ملاحظة أن تعريف المؤمن وتعريف الكافر كان قد سبق مُقَدِّمَةَ سورة البقرة.

قوله تعالى «ألم تَرَ» فيه استحضار حوادث الماضين من خلال حضور الفعل المضارع مع استفهام فيه التحريك والاستيقاظ. ومع النفي يصبح الحديثُ تهييجاً وترغيباً وتحريكاً للسمع والبصر. وإذا كان المخاطب في هذا السِّياق هو رسول الله ﷺ فإن القارىء يجد نفسه في ذات الزاوية من مناخ التهييج والتحريك واستزادة المعرفة والوقوف على الحوادث والتفصيلات. وحكاية المحاجَّة هذه تقدِّم الدليل على أن من آتاه اللهُ النُّفوذ تستخفُّه المناصب وتحجبه عن الحق إن لم يكن على قَدْرٍ كبير من الوعي والحصافة والألمعية. وواضح أنَّه حيث يمكن التلبيس فإنَّ منطق بعض الناس في بعض البيئات في

بعض العصــور يمكن أن يهيمن ويستبــد؛ ولكن حيث تكــون الأمور إلٰهية وغيـر إلٰهية أو قـل حين تزداد المفـارقات بين مقـولة ومقولة فإنه حينئذ يتمايز الفَهم عن غيره من مجانبي هذا الفهم. ويبدو أن صدام ابراهيم عليه السلام في هذا الشأن (ولعله نمروذ كما ذكرت التفاسير) قـد كان مـع السُّلطة. والصراع مـع السُّلطة في كل زمان ومكان لا يحسمه لصالح الحق الإلٰهي إلاَّ من كـان المبـدأ واضحـاً في ذهنـه ونفسـه وُضـوحَ الإيمـان اليقيني عنـد ابـراهيم عليه السَّـلام الذي أُمـرنا أن نتبـع مِلَّته بصفتهـا الصفاء الخـالص والنقـاء الأوفى. وإذا استـطاع المؤمن الحَقُّ أن يُجلِّيَ الحقائق الإسلامية في كل زمان ومكان ولو على مستوى التنـظير والفكر ففي ذلك النصـر كل النصـر لأن عوامـل الوضـوح ستظل تعمل لصالـح الحق وجمهوره ضـدَّ الأفكار الـدخيلة والمستوردة والفـاسدة والممـوِّهة والمغـالِطة. أمَّـا أن يبقى رجل المبـدأ عند مـرحلة (أنا أحيي وأميت) غيـر مجاوزهـا إلى (إتيان الشمس من المغرب) فهذا حتماً ضاع في مخـاضة المغـالطات وتلبيس ذوي الأهـواء والمطامـع والمصالـح والمنافـع والغايـات. وليت بعض شيـوخنا الـذي يضعهم أهل القـرار في طـول العـالم الإسـلامي وعرضه يجـاوزون مرحلة (أنـا أحيي وأميت) الى مرحلة التبكيت إذن لكان الشعور بالفراغ لغياب القرآن الكـريم عن الحكم أكبرَ بكثيـر في عيون النـاس وقلوبهم منه الآن ولكـانت الحـاجـة الى ملء الفراغ تشغل عقول رجال مسلمين وتشحن قلوبهم بالتعاظم على التحدِّيات.

وما كان الله تعالى لِيُصَدِّرَ الآية الكريمة بمثل قوله الى رسوله ﷺ (ألم تَرَ) وهو لا يريدها أن تكون الدرسَ الحاضرَ الماثلَ في ذهن كل مسلم يغار على حرمات الله في الأرض ويسعى الى التغيير نحو المجتمع الإسلامي الأمثل والأكمل. وهذا يضعنا باستمرار في موضع الذي ينبغي أن يدور مع القرآن الكريم حيث دار إن كان ثمة افتراق بين القرآن والسُّلطان كما نَبَّأَ بذلك حبيبنا محمد ﷺ بما بَلَّغه عن رَبِّه تعالى.

و «بُهت» الرَّجُل إذا انقطع وسكت مُتَحيِّراً[1].

وهذا دَرْسٌ آخر ما كان اللهُ تعالى ليذره ليكون حادِثَةً عابرةً. ولذلك فإن ـ كاتب هذا التذوق ـ لَيَشْعُرُ أنَّ قوله تعالى [أو كالذي] فائقة الحسن في كونها تُشْعِرُ بهذا «التلكؤ» في السَّرد من خلال الكاف الزائدة كأنَّها التصوير البطيء، في إظهار الدلالات وبيان المقصود. وكل ذلك مقصود به حتماً استقراءُ العِبَر وأخذُ الدروس من هذه المشاهد التي يُعاد عَرْضُها على سَمْع المسلم وبصره.

ويعزِّز هذا التلكؤ في السَّرد كمثل ما ذهبنا إليه في القول قوله تعالى في سياق آخر [... كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى

(١) أنظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس: اعراب القران. جـ ١. تحقيق: د. زهير غازي زاهد (مطبعة العاني، بغداد: ١٩٧٧م) ص ٢٨٤.

ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ (الأنعام: ٧١).

أرأيت ما كان أحسنَ صيغةَ [كالَّذي] في نقل هذا المشهد البطيء لصورة الحيرة والتلكؤ في إنفاذ الإرادة، واتخاذ القرار. إنَّه في مثل هذه القرائن، فإنَّ استخدامات القرآن الكريم ينبغي أن تكون النماذج العليا لنا حين نُريد أن نبدع في العربيَّة أساليب تساوق تقدُّم التقنية في نقل المشاهد وتصوير جزئياتها. إنَّه في حشر هذه الاستخدامات ضمن زُمَرٍ نحوية ومصطلحات مجردة يكون قتلُ سماتِ الخصوصية فيها ودَفْقِ البيان. ولولا هذا الحشر الذي قد كان في ظهور مئات كتب النحو في تاريخ المسيرة العربية لكان لأساليب القرآن الكريم في «تهييج» أساليب التعبير في العربية شأنٌ غيرَ الشأن الذي نلمسه ونراه. إنَّ كل قرينة في سياق القرآن الكريم لها دلالة بيانية ذات طابع «تحريكي» مُعَيَّن لجديرة أن تكون الباعِثَ والمحرِّك لقرائن جديدة ذات تعبيرات ذات طعم مميَّز. إنَّ قرائن النسق القرآني قد أبدعتها عبقرية غيرُ ذات تَقَيُّدٍ ببعدي الزمان والمكان لأهل الأرض، ومن ثَمَّ فهي أولى أن تُنْشد وأن تكون موضع تأمل واستيحاء لمن شاء أن يكون له في أساليب العربية قُوَّةَ الايحاء والتنويه بالمراد. ولعلنا نبدأ في أساليب العربية بأخذَ النماذج القرآنية في خصوصيات أنساقها نماذج محرِّكة لبعث حركة أسلوبية ذات تعبيرات أكثر فنيَّةً وأبعدَ أثراً وتأثيراً.

وواضح تنكيرُ الاسم بالاسم الموصول التركيزُ على

الدِّلالة واستقاء الدَرْس وأخذ العبرة دون الهوية الشخصية لبطل القرينة وصاحب الشأن. وفي ذلك تكثيف الخبرات، واغناء التجارب، وصقل الشخصية للفرد المسلم الذي هو الوارث الحقيقي لكل تلك الحِكَم (جمع حكمة) وقرائن الأحوال. فكأن حيوات الناس قد جُمعت وصُفِّيت في «مستخلص» مُصَفَّىً مُركَّز ليكون للمسلم نِعْمَ التجربة، ونعم الينبوع «الحِكَمي» (نسبة الى الحكمة) - إن جاز التعبير. وأمَّا غير المسلم فلا يكاد ينتفع بشيء من ذلك لأنه يَمُرُّ عن آيات الله تعالى أصم أعمى[1]. وواضح أنَّ هذه الحادثة وما وليَها قد كانت معجزات أنبياء ورسل وبذلك تكون أُمَّة محمد ﷺ قد أدركت دلالات هذه المعجزات ووقفت على حيثياتها دون أن تكون قد قَدَّمت ضحيَّةً واحدة على طريق المعاندة والمكابرة والمماحكة ودون أن تكون قد ابتليت بالعذاب على التكذيب حين تكون البراهين قد كانت في وضوح الشمس رائعة النَّهار. وكأنَّ هذه المعجزاتِ قد كانت معجزاتٍ أُيِّدً (بصيغة المجهول) بها رسول الله ﷺ لأنَّ رسالته جاءت مصدِّقة للرسالات السابقة ومهيمنة عليها. والهيمنة هي في المعجزة الكبرى وهي البيان القرآني الكريم الذي أعجز الثقلين أن يأتوا بمثله ويَعجزهم وسيظل يُعجزهم حَتَّى تطوى السَّماءُ كطيِّ السِّجل للكتب كما بُدىء أول خَلْقٍ يعود.

[وهي خاوية على عروشها] جملة اسمية في محل نصب

---

(١) إشارة الى قوله تعالى [إنَّ شَرَّ الدوابِّ عند الله الصُمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون] الأنفال: ٢٢.

علَى الحال من الضمير في «قرية» والواو واو الحال. والمرور على القرية جعلها في حكم المعرفة ورفعها عن التنكير. وهو مرور مستند الى الاسم الموصول الذي نُكِّر (بصيغة التضعيف والمجهول) عن علم ومعرفة فكأنَّه في حكم المعرفة.

خاوية على عروشها: ساقطة على سقوفها. كأنَّ عاليَها سافِلُها. وهي صورة نستدل عليها من سياق قرآني آخر في مثل هذه القرينة. قال تعالى [فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً] هود: ٨٢ [فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ] الحجر: ٧٤.

والقول: [قال: أنَّى يحيي هذهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها] كأنَّ:قال: حِوارٌ مع الذات. ولعل الرَّجل قد قالها في حوار علني مسموع مع الذات مبالغة في التعجب. وتقديم هذه على لفظة الجلالة تقديم فيه ارتباط بالمكان وتركيز عليه. وقوله «الله» إقرار بقدرة الله تعالى ولكنه إقرار محكوم بأبعاد العبقرية الإنسانية المرتبطة بالأبعاد المكانية والزمانية والقدرات البشرية. وموت القرية موت على الحقيقة لساكنيها وموت على المجاز لعمارتها وتشييد مبانيها ومصانعها وميادينها. وقصة الموت هذه ثم البعث وإن كانت قد أتت في سياق معين فهي للمسلم الواعي قصَّة الموت والنشور. ويجادل بعض الجهلاء من النَّاس أنَّ أحداً لم يرجع بعد موت فيخبر ما الذي كان. وهذه قِصَّة حقيقية لموت وبعث وما تكون حالة الإنسان في حياته البرزخية وخروجه من دائرة الحِسِّ الزماني أو قل فقدان حاسَّة الشعور بالزَّمان.

وقـوله تعـالى [مائـة عام] تكفي لتنفي أيَّ شَـكٍّ قد يـراود أحداً من الأطباء أنَّها غيبوبة المرضى. فهـو موت على الحقيقـة وليس مجازاً. وقوله تعالى [يوماً أو بَعْضَ يوم] توكيـد على حالـة آنعدام الشعور بالزَّمـان حين الموت. ففي الأولى قـال يومـاً. ثم بعد أن راجع ذهنَه وعاود تـركيزه جعـل يُنقص في المُدَّة ـ دلالـة خروجه من دائرة اعتبارات الزمان ومقـاييسه. وهـو حتماً صـادق مع نفسه ويجيب بعفْوية (صاحب القصة عزير أو غيرُه).

وقـوله تعـالى [بل لبثت مـائـة عـام] وضـوح الـوعي على الـزمان والمكـان في مقاييس رَبِّ العـالمين. و «بل» تقـر حقيقة غير قابلة للنقاش فهي مُبْرَمة.

وقوله تعالى [فانظرْ إلى طعامِك وشرابك لم يَتَسنَّه] إشـارة الى إيقـاف عوامـل الفساد والإفسـاد العضوي والبكتـريـولـوجي والأنـزيمي. وقولـه تعـالى [لم يتسنـه] أي لم يتغيَّـر في الـطعم والنكهة. فهو هو كما كانت حالته لم يمت (على المجاز) فيبعث من جـديد. أيَّ أنَّ الله تعـالى لم يخلق الطعـام والشراب خلقـاً جديداً في ذات الطعم الأول والحالة الأولى ولكنه رفـع الأحكام التي تقترن بعملية التحلل العضوي للمواد في حياتنا الأرضية.

وقوله تعالى [وانظر الى حمارك] عملية البعث بالكامل من ألفهـا الى يائهـا. وقولـه تعالى [فلمـا تبين لـه] إشـارة الى تبين صورة البعث بالكامل مع سائر جزئياتها ومراحلها. والإشـارة الى العـظام وإحيائهـا وكسوتهـا باللحم دلالـة على أنَّ الموت الـذي اعترى الحمار لم يكن غيبوبة قـد طالت أيضـاً وإنما كـان تحللاً

للجسم ومروراً به من حالة العضوية الى حالة اللاعضوية ثم عملية خلقه بالكامل من جديد.

وقوله تعالى في سياق اعتراضي [وَلِنجعلك آيةً للناس] إشارة الى الدرس المستمر والمثل الحي الماثل الحاضر الذي أراده ربُّ العالمين ليكون التبصرة الدائمة للمسلم والآية الحاضرة. إنَّ قِصَّة الوجود والبعث والنشور لم تُترك للمسلم لتكون وصفاً للغيب فقط، وإنما كان منها أمثلة حَيَّة ونماذج تطبيقية ووقائع محدَّدة ذات تفصيلات معينة وقرائن معروفة. وما من شَكٍّ أنَّ مثل هذه الوقائع والمشاهد والتفصيلات هي التي تعطي بمجموعها للمسلم قُوَّة اليقين ورسوخ العقيدة بما يجعل المسلم مترفعاً على كل أعمال التنصير والتهويد والتبشير والتضليل بما أوتيته من سحر الحضارة الغربية وغياب الحضور الحضاري الإسلامي عن السَّاحة. وإذا كان الغيبُ قد قُدِّم إلينا من خلال وقائع مُحدَّدة فماذا ينتظر المسلمون لإعلان الحكم القرآني في الأرض تصوراً للحياة وتصوراً لما بعد الحياة ـ بعد كل هذا الوضوح القرآني الذي لم يترك لغزاً إلَّا وأعطانا مفتاحه وبيانَه؟.

وقوله تعالى [قال أعلم أنَّ الله على كل شيءٍ قدير] إشارة الى أن ما يليق بجلال الله تعالى ينبغي أن يكون مجاوزاً لحدود قدراتنا الإنسانية المحكومة بحدود الزمان والمكان. وإذا كان هذا يَصْدُق في الحديث عن كمال الله وصفاته فهو أيضاً ينبغي أن يكون درساً لنا في تطبيق أحكام القرآن على الأرض. إنه

حين يكونُ التحليلُ أو التحريمُ واضحاً، فإنَّ أيَّ تعطيل لمقاصد الشريعة الإسلامية في الأمر لكأنَّه تقصير في تقدير الله تعالى حَقَّ قَدْرِه مهما خلصت النيات ومهما بلغت التقوى ومهما كان الأشخاص من حيث الموقع الفكري والاجتماعي والقيادي. ينبغي أن نصل الى النتيجة [أعلم أن الله على كل شيء قدير] دون أن نضطر الى تحمل بلوائها ـ ما دامت قد قُدِّمت إلينا مستخلصة مُصَفَّاة في هذه الدرجة من التركيز والوضوح والتصوير.

ثم يأتي مشهد آخر من المشاهد التي تعطي صورة واضحة عن البعث يوم القيامة يُعَزِّز المشهد الأول ويزيد في ترسيخ القدرة الإلٰهية لدى الأذهان. وبطل هذا المشهد لم يقل على سبيل التعجب «أنَّى يحيي هذه اللهُ بعد موتها» وإنما قال «رَبِّ أرني كيف تحيي الموتى». ولم يَمْضِ هذا الطلبُ من غير تصفح لقلب ابراهيم عليه السلام ـ إن جاز التعبير. فقال ابراهيم على سبيل الاستيثاق: «بلى ولكن ليطمئن قلبي». واسْتُحسِن (بصيغة المجهول) طَلَبُه وتعقيبُه وأدَبُه وصَرَاحَتُه.

وكان حين يتلو رسول الله ﷺ هذه الوقائع مع الأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام كان يقف وقفات طوالاً عند سِيَرِهِم ومواقفهم وكان وهو المدعو بالخطاب صَدْرَ كُلِّ آية «ألم تَرَ» و «ما كُنْتَ لديهم» يزن الأمور ويقلِّبها وهو الذي يفهم عن رَبِّه وهو الذي كان أفصحَ قريشٍ لساناً وكان قد أُعطي جوامعَ

الكلم[1]. وما نشك في أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ الذين رافقوه رحلة الوحي عليه السلام قد فهموا أخلاق الأنبياء وسِيَرهم من خلال بيان رسول الله ﷺ وطريقة تقليبه لصفحات الأنبياء قبله وما كان من مواقفهم الصعبة ومن طرائقهم في التعبير ومن طرائقهم في الرضى والغضب إن جاز التعبير. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (لو لبثت في السجن ما لبث يُوْسُفُ، ثم أتاني الدَّاعي لأجبته)[2]. اشارة الى قول يوسف عليه السلام: ارجع الى ربك في السياق: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾

[قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا].

فَصُرْهُنَّ: بكسر الصَّاد وضمها: أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن. سعياً: سريعاً[3].

ويقول أبو جعفر بن النحاس في المعنى: «قال أبو اسحاق: ثم اجعل على كل جبل من كل واحد جزءًا، وقرأ أبو

---

(١) قال النبي ﷺ: (أُعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب. . . الحديث). أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري ط١ جـ٦ (دار القلم: دمشق ـ بيروت: ١٩٨١م ص ص ٢٥٦٨ ـ ٢٥٦٩ .

(٢) المصدر ذاته ص ٢٥٦٧ .

(٣) تفسير الجلالين: (مطبوعات دار مروان ـ دار العربية).

جعفر وعاصم (جُزُءًا) على فُعُل؟؟[1].

وفي تقدير إعراب الآية الكريمة يقول أبو جعفر بن النحاس أن «كَيْفَ» في موضع نصب أي بأيٍّ حال تحيي الموتى؛ كما يُقَدِّر «سَعْيًا» بأنها نصب على الحال.[2] وما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ كيف في موضع نصب على المفعولية الثانية وتكون ياء المتكلم في «أرني» المفعول الأول، ويكون التقدير: أرني صُورة إحياء الموتى أو أرني طريقة إحياء الموتى.

وواضح من سياق الواقعة أنَّ الله تعالى لا.يُعْجِزُه الخَلْقُ وأنَّ التفصيلات هذه إنما أرادها ربُّ العالمين لتثبيت الوقائع في أذهان البشر وكي يكون بمقدورهم ربط الأوامر بحيثيات معينة وجزئيات مخصوصة. ومن ثَمَّ كان التعقيب على طلب ابراهيم عليه السلام: [واعلم أنَّ الله عزيز حكيم]. وواضح أنَّ هذه الدروس التي مَرَّت بها أمم الأرض وقادتها، بعضهم بنجاح، وبعضهم بغير ذلك، انما هي جاءت الى أُمَّة محمد ﷺ مُصَفَّاةً (بتشديد الفاء وفتحها) خالصة من غير لَبْسٍ أو غموض لأن الذي يُخْبر عنها ليس عيون البشر وألسنتهُم ولكنَ الله تعالى.

وهذه الوقائع في هذا السِّياق كلها تُثَبِّت (بتضعيف الباء وكسرها) أُمَّ المقاصد وأُسَّ الإيحاءات وهو الإيمان الواضح الجلي الصافي. فإنْ كان هنالك إيمانٌ فإنَّ المعالجات

---

(1) إعراب القرآن جـ ١ ص ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(2) المصدر ذاته والصفحات ذاتها.

الاقتصادية يكون أمرُ محاورتها من موقع إسلامي أيسرَ وأحلى. وهو ما نرى الأضواء عليه مُسَلَّطةً في النَسَق القرآني الكريم الذي يتبع.

[مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم].

في مناخ الإيمان والدولة الإسلامية فإنَّ المؤمنين مطلوب منهم أن يُجاوزوا في تقدماتهم وهباتهم الحَدَّ الأدنى المنصوص عليه في بيانات الدولة. ومثل ما ينفع الله بأموالهم في سبيل الله مثل حبَّة قمح أنبتت في التربة الكريمة الملائمة سبع سنابل وكان في كل سنبلة مائة حَبَّة. أيَّ أنَّ عملاً يقدِّمه المؤمن في سبيل الله يحسبه قليلاً وهو في الحقيقة يكون من الفاعلية وزرع الخير وفعاليات الإنتاج والتحصين وأسباب القوة والمنعة ما يجعله مُضَاعفاً إلى سبعمائة ضعف. ثم إنَّ كل حَبَّة من السبعمائة تعيد سيرة أُمِّها الأولى. وهكذا تتوالى المعادلات الهندسية والمتواليات الرقمية حتى يكون للمؤمن رصيد يوم القيامة ما كان ليخطر له على بال[1]. ودولة هذه رعاياها هي حتماً دولة فُرَص الخير فيها والفضل أكبر من أن تجد أناساً معوزين أو أن تجد مُلتَمِس عطاء. إنَّ العَرْض فيها أكثر من الطلب لأنَّ الأغلبية فيها يعطون عن سخاء عطاء من يحتسب

(١) ينظر في تفصيل ذلك بيانياً كتابنا: من أساليب البيان في القرآن الكريم ط٢. (مكتبة الرسالة الحديثة. عمان: ١٩٨٣م) ص ٩٨ وما بعدها.

عند الله تعالى الأجر والمنزلة والثواب. ومن هذا المنطلق فإنَّ المُقدِّمة الأولى لإثراء هذه الدولة تكون من خلال رغبة الرعايا في الدفع والسخاء والتقديم جهداً ومالاً وعرقاً والجود بالنفس والنقيس في سبيل الله تعالى.

[الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون].

وهذه الآية تُعَزِّز مقاصد الإيمان في النفوس وأنَّ الإنفاق ينبغي أن يكون خالصاً لله تعالى لا مجاملة ولا استعراضاً ولا تحت اكراه أو ضغوط ولا حتى إرضاء لأحد غير احتساب الثواب عند الله تعالى. وإذا كان هذا الأمر قد رسخ فإنَّ الديمومة في الصَّفاء لهي أيضاً شرط آخر ينضاف الى استحقاق الثواب عند الله تعالى وهو أن يَظَلَّ هذا الإنفاق مُبِّراً من النوازع النفسية والتلوينات العاطفية. فإن بدا أنَّ هذا الانفاق قد أعقبه مَنٌّ على المستفيد أو لحق المستفيدَ أذى من قول أو تعيير أو كشف أسرار لا يحبُّ المستفيدُ أن تُكْشَف فإنَّ ذلك يحول دون استيفاء الثواب كاملاً من عند الله تعالى هذا إذا كان قد بقي ثواب أصلاً. فمن ثبت على المبدأ فإن أجرهم عند ربهم قد أصبح في قوَّة الحتمية الرياضية لأنَّ الله تعالى قد مهره بخاتمه تعالى إن جاز ذلك في حَقِّه تعالى. وقوله تعالى بعد ذلك [ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] زيادة في البضاعة. فليس هم قد استوفوا أجورهم كاملة يوم القيامة وإنما هم في مأمن من سخط

الله تعـالى ولا يصيبهم الحزن يـوم تـأتي كـل نفس تجادل عن نفسها. وهكذا فإنَّه في دنيا الدولة الإسلامية التي يَحْتَلُّ الإيمـانُ بـالله تعـالي صـدارَتهـا وعلى القـرآن الكـريم ونصـوصـه تقـام العلاقات بين المؤسسات والأفراد تكون لسبل الإنفـاق في سبيل الله تعـالى قنواتٌ للرضـوان الإلهي تجعل الـرَّصيـد أجـراً وأمنـاً ومَسَرَّةً. وعند ذلـك يتبين في مثل هـذا المناخ أنَّ الحصيف هـو الذي يبذل ماله في سبيل الله وأنَّ الذي يبخـل فإنَّـه حتماً يبخـل على نفسـه. وفي مجتمـع كهـذا تبـدو الإنتـاجيـة هي المقيـاس للقادرين على حصد حسن ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

[قولٌ معروف ومغفرة خير من صـدقة يتبعهـا أذى والله غني حليم].

قول حسن وردٌّ على السائل جميل ومغفـرة له في إلحـاحه بالسؤال خير من صدقة يتبعها أذىً بالمَنِّ وتعيير له بالسؤال. والله غني عن صـدقـة العبـاد حليم بتـأخيـر العقـوبـة عن المانِّ والموذي[١]. وعلى هذا التفسيـر يكون التقـدير الإعـرابي: قول معروف ومغفرة: مبتدأ خيرٌ: خبره. وهذا في تقـدير كـاتب هذا التـذوق أقـرب من إعـراب أبي جعفـر بن النحـاس أنَّ قـول معروف: ابتداء والخبر محذوف أي قـول معروف أمثـل وأولى، أو أن يكـون قول معـروف خبر ابتـداء محذوف أي الـذي أمرتم به: قولٌ معـروف. والمعنى كما يـراه ابن النحاس: فِعْـلٌ يؤدي

(١) انظر: تفسير الجلالين للآية الكريمة.

إلى المغفرة خيرٌ من صدقة يتبعها أذى[1].

وكاتب هذا التذوق يرى أن هذه المفاضلة إنما هي تحصيل حاصل ولا يمكن أن تكون المغفرة إلاَّ أمراً يتعلق بالمتصدِّق ذاته في هذا السِّياق. وقد أسندت المغفرة الى المؤمنين فى مثل قوله تعالى [قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ] الجاثية: ١٤ - بما يعزز الصّورة السابقة.

وهذا كُلُّه يجعل قَنواتِ الإنفاق في سبيل الله تعالى في دوائر الذوق العالي ومناخ الفضيلة والفضل في أقصى درجات البعد عن الغلظة والمجافاة والطبع الجاف والنفس الملتوية والمزاجية سريعة التبدُّل في الأزمان والأوقات.

وربما تساءل أناس عن سبب التفصيل في سلبيات هذه الأمور أكثر من التركيز على إيجابياتها. وفي الإجابة عن هذا نقول: إنَّ الذي يدور في فلك الأموال وتأديتها في مثل هذه الظروف هو التغير النفسي والتقلب المزاجي. وها نحن نرى في مجتمعاتنا التي فيها أركان الإسلام قائمة ومع ذلك نجد حتى الحقوق الحقوق لا يكاد يؤدِّيها النَّاس إلى بعضهم بعضاً - في الأغلب - إلاَّ كارهين. فما بالك حين يكون الأمر تأدية هذه الأموال لله تعالى في غياب المنافسة الحَقَّة والترغيب. إنَّ الشرور المتصلة بالأموال أكبر من السُّرور المتصل بها في مجتمعات عناصر الإيمان فيها آخذة بالنقصان بديل تكون في

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٨٦.

ازدياد. وواضح أنَّ الله تعالى يرسم حدود الدولة الإسلامية ليس في أقصى. درجات توهجها فقط ولكن حين تُمنى بوَهَن في درجات العطاء والإنفاق الطوعي في سبيل الله والمنافسة فيه. وإذن يكون التوكيد على نقاط الضعف في حياة المؤمنين وسلوكهم تجاه دعم المقاصد الإسلامية في موضع التحصين والطب الوقائي إن جاز التعبير.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

إعادة التوكيد على الثغرات التي منها قد تؤتى أعمالُ المؤمنين وأجورُها عند الله تعالى. وواضح أنَّ المَنَّ والأذى الذي قد كثر تردادُهما في هذا النَسَق الكريم هما من المُعَكِّرات (بضم الميم وفتح العين وكسر الكاف المشدَّدة) التي تقتل «جسدية» الأمَّة الواحدة وروحَ الجماعة فيها. وواضح مقاصد الله تعالى في بناء جسد الأمة الواحد. إنَّ الله تعالى غني عن الصَّدقات التي يشوبها المن والأذى والرئاء. إنَّ الصدقات التي يعكر صفوها المن والأذى إنما هي مبطلة ومفعولها ملغى وأجورها قد مُحقت. وهي إشارة للحلماء في كل زمان وفي كل أوان أنَّ وحدة «الجسدية» الإسلامية لهي أكبر عند الله من الاقتصاد، ومن الدخل، ومن الثروة «القومية» و «الوطنية».

أقول هذا وأنا أعلم أنه في البلاد التي نجح الشيطان الأوروبي (وأمريكا وروسيا ابنتان له) في «دبجلة» قوانينها ونظمها في العالم الإسلامي يجادل بعض ذوي المِلل والنِحَل فيها عن «اقتصاد» الخمور فيها وفي شركاتها وعن «الريع الاقتصادي» من نواديها وعلب الليل فيها، وعن حجم الثراء الذي يعود به الاتجار بالربا في بنوكها ومؤسساتها المالية ـ كأنَّ القرآن الكريم لم يَنْزل علينا منذ خمسة عشر قرناً وللآن. ومن أسفٍ أنَّ كثيراً من المسلمين في هذه الأوضاع لا يملكون غير التلهي بما هو دون «جسدِّية» الأُمَّة الواحدة ولا أقول المَنَّ والأذى؛ بل لعلَّهم في المنزلة بين المنزلتين بين الجسدِّية وبين المَنِّ والأذى. وقد حدثني بعض من لا أَتَّهم أنه في بعض البلاد العربية التي كان يفترض أن تكون إسلامية يُنَصُّ في لوائح الأسعار على أسعار المشروبات «الخمورية» ـ خَمَرَ اللهُ عقولَهم وقلوبَهم ـ مع أسعار المواد التموينية والاستهلاكية؛ فأعجبْ. وربما يقع كتابي هذا من بعض الأجيال الفتيَّة الشَّابة في الأزمنة القادمة حين تكون الدولةُ الإسلامية الواحدة العملاقة قد وضعت قبضتها على كل أمور المقاليد وشؤونها موقع التعجب؛ إذ قد لا يُصَدِّق بعض من وُلد في المناخ الإسلامي الصافي أنَّ بلاداً عربية كانت قد تردَّت في مثل هذه المستنقعات «الرذائلية» عشايا تِمِّ القرن العشرين لميلاد عيسى بن مريم عليه السَّلام.

لا: الناهية الجازمة. وتُبطلوا: فعل مضارع مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والفاعل: واو الجماعة.

صدقاتكم: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم وصدقات: مضاف والكاف ضمير متصل مبني على الضم في محل جر على أنه مضاف إليه؛ والميم للجماعة.

كالذي ينفق: الكاف في موضع نصب أي إبطالاً كالذي ينفق ماله رئاء النَّاس فهي نعت للمصدر المحذوف، ويجوز أن تكون في موضع الحال. والقولان قالهما أبو جعفر بن النحّاس[1]. وما يراه كاتب هذا التذوق هو أن الكاف في هذا السياق إنما هي بديل المصدر إبطال أو صنيع أو غير ذلك. وبذلك يمكن أن تكون هي ذاتها نائبة عن المفعول المطلق لأنها تؤدي ما يؤديه المصدر النائب عن المفعول المطلق. ومثل هذا النص يكون هادياً للقاعدة النحوية وتكون القاعِدة النحوية تبعاً لمثل هذا النص الكريم المبارك.

ويكون ثَمَّةَ الذي يَنْقُصُ أُجورَ صدقاتِه بالمَنِّ والأذى في صنيعه مثيل الذي يُنفق مالَه ليقال كريم وجواد وهو لا يؤمن بالله واليوم الآخر. أي أنَّ أموالَه التي أنفقها تكون عليه حَسْرَةً. ولا يخفى تقديم إنفاق المال رئاء النَّاس قبل الإيمان بالله واليوم الآخر في حالة هذا الشقي. وهذه حَميَّة غير الحميَّة الإسلامية. وهذه حَميَّة قد تستفز بعض الناس وقد تسحر بعض الناس وقد تُدَلِّسُ على بعض النَّاس. ولا أقلَّ منها تلك الأموال الهائلة التي

---

(١) انظر إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٨٧.

ينفقهـا طواغيت الاستعمـار الغربي تحت بـراقع التنصيـر وإقامـة الملاجىء والمستشفيات ودور العبادة حتى إذا ما صُدَّت (بصيغة المجهول) في وجهها الأبواب حطمتها بأيديها حتى لا ينتفع منها أحد فعل يهـود في المدن والمـواقع التي احتلتهـا وأكرهت على الانسحـاب منها تحت ضغـوط من نوع معيَّن الكـل يعلمها. إنَّ حجم المال الذي ينفق رئـاء الناس قـد يكون كبيـراً فيظن بعض المتعجلين الى إصـدار الأحكام أنـه لو لـم يكن إيمـان وراء هذا الإحسان الطامي لما كانت مثل هذه الحنفيات تفيض بمثل هـذه المساعدات. وما دروا أن بعض هؤلاء الطواغيت من المؤسسات والـدول مستعدة أن تعـطي فائض مـا عندهـا خمسين سنـة حتى تكسر مصدر رزق حيوي لقطر إسلامي وتسلبه عماد حياته وكيانه. وبديل يفكر أهل البلاد الإسلامية في عصرنـا الحاضـر في إقامـة مصانع السلاح ومصانع السيارات والمركبات والـطائرات مـا كان منها لأغراض المنافسة التجارية ومـا كان لأغـراض «وأعدوا لهم مـا استـطعتم من قــوة» تجـد خبــراء «الجـدوى الاقتصــاديـة» المستـورَدين من الغـرب أو الـذين ربَّتهم في الغـرب الكنـائس والكُنُس ويحملون الجنسيات العربيـة يجادلـون في أن الاستيراد أرخص لنا من الصناعة. ولو كـان في الناس من يعي التحـديات التي تـواجه العـالم الإسلامي وحجم المؤامـرات عليـه تجـاريـاً واقتصـاديـاً ثم عسكـريـاً لــرأيت كبـار المتنفــذين من الغيـارى المسلمين يقـررون بدايـة انتاجيـة المصانـع ولو كـانت بخسـارة مئات الملايين من الجنيهات. ليس لأننا نـريد أن ننـافس السُّوق

ولكن لكي نكون قادرين على قبول التحديات حين تتعاظم ـ لو كان هؤلاء يحسبون لمثل هذه هذه المهانات التي تتعرض لها الدول العربية ـ مستقبلاً ـ إن بقيت بعيدة عن دينها ومقاصده ـ الحساب.

إنَّ مثل هذا المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر كمثل صَفَوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً. والدليل على أنَّ «مثله» عائد الى المرائي الكافر هو أن الحديث عنه وحده جاء في سياق ضمير الغائب بينا صدر الآية قد كان بضمير المخاطب على الجمَاعة.

«قال الأخفش: صفوان جماعة صَفْوانة. وقال بعضهم: صفوان واحد مثل حجر. قال الكسائي: صَفْوان واحد وجمعه صِفوان وَصُفِيٌّ وصَفِيٌّ»[1]. قال أبو جعفر بن النحّاس: «صَفْوان وصَفَوان يجوز أن يكون جمعاً وأن يكون واحداً إلَّا أنَّ الأَوْلى أن يكون واحداً لقوله عليه تراب فأصابه وابِلٌ، وإن كان يجوز تذكير الجمع إلَّا أنَّ الشيء لا يُخْرَجُ عن بابه إلَّا بدليل قاطع»[2].

وقال الكسائي: «وهي الحجارة الملس التي لا تُنْبِتُ شيئاً»[3].

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٨٧.

(٢) المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

(٣) المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

والوابل: المطر الشديد.

وفي «صلد» قال الكسائي: «يقال: صَلِدَ يَصْلَدُ بتحريك اللام فهو صَلْدٌ بالإسكان وهو كل ما لا يُنْبِتُ شيئاً»[1].

والصُّورةُ الحاصلةُ من المشبه به وحيثياته ومشاهده هو أنَّ الحجرَ الأملَسَ الذي كان عليه تراب لم يستفد من المطر الشديد غير الانجراف الكامل للتربة. وهذه صورة مُرَكَّبة لا يُتعامل معها إلاَّ من خلال صورتها الكاملة[2].

وصورة الانجراف هذه صورة حَيَّة متجددة يعرفها أهل المناطق الصخرية ويعيشونها ويخبرونها. وكما أنَّ الصفوان الصَّلد الذي يُزِلُّ (بضم الياء وكسر الزاين وتضعيف اللام المرفوعة) المتنزِّل لا يكسب شيئاً من تراب ونبات وثمار فذلك شاهد على أنَّ فائدة مهما كان نوعها لا يمكن أن يكون قد حَصَّلها مُراءٍ لا يؤمن بالله واليوم الآخر. وهذه صورة حسية (Concrete) يمكن للمرء أن يراها ويخرج بنتائجها التي هي في الإطلاق العام الذي لا استثناء فيه البتة ولو على محمل المجاز، ولو على محمل الظن. إنَّ التشبيه التمثيلي (المركب) لهو في قُوَّة التأكيد على أنَّ العمل الصالح لن يُقْبَلَ ما لم يكن المرءُ مؤمناً يرجو الله واليوم الآخر.

---

(١) المصدر ذاته ص ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) لمزيد من الوقوف على أسرار البيان للتشبيه المركب ينظر: كتابنا «من أساليب البيان في القرآن الكريم» ص ص ٨٧ وما بعدها.

وقوله تعالى [لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا] أن هؤلاء الذين ضيَّعُوا الإيمان لن يكسبوا خيراً أو ثواباً على ما قدَّموه من أعمال خيرية بزعمهم ـ رئاء الناس.

وقوله تعالى [والله لا يهدي القومَ الكافرين] تأكيد على أنَّ الإيمان هو أهم عند الله تعالى من الاقتصاد «الوطني» و «الثروة القومية» و «الثروة الوطنية». وهو ما ينبغي أن يأخذه حُكماء الدولة الإسلامية الواحدة بالحسبان حين بناء الدولة ونظمها.

وواضح من الموازاة القائمة بين موقف غير المؤمنين وموقف المؤمنين في موضوع الإنفاق أنَّ المقصود بأن الحجر الصلد لم يتحَصَّل به شيء من خير الأرض وهو الثمار والفواكه والخضار وهو ما يوحي به ويصرِّح التشبيه التمثيلي في الموقف الموازي الثاني. ولأنَّ الحذف والاقتصاد في اللغة سمة تكثيفية في القرآن الكريم، فإن ذلك يكون أوقع في النفس من حيث جمال النصوص ورشاقتها وقدرتها على غزو القلوب والنفوس بمنطقها وبما تحدثه من انساق وانسجام.

وقوله تعالى [القوم الكافرين] تأكيد على ما تقوم به المؤسسات الاستعمارية مثيل المخابرات ووزارات الخارجية ومؤسسات الأكليروس وغيرها من الإنفاق الذي ظاهره العون والمساعدة وهو في حقيقة أمره الالتفاف على دماء الأبرياء ومصادر عيشهم وقوت أولادهم. ومثل هذه التجمعات في تخريب الاقتصاد أو في تطويق الاقتصاد لهو في الشَرِّ الكبير.

لمثل هؤلاء فإن نكير الله تعالى كبير يومَ القيامة. وإذا كان ينبغيْ أن يكون هوانا تبعاً للقرآن الكريم فأولى بنا أن نبطش بهذه التجمعات البطش لا يقبل شيئاً من غير إيمان مهما بدا أنه في المسكنة والتخاشع والتذالل والتواضع ولبس لبوس الحملان وهم في الحقيقة أعداء أشرون وجواسيس ناقعون وأمراض صفر.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

والآن يعطي ربُّ العالمين صورة الذين يسارعون في تدعيم اقتصاد الدولة الإسلامية ووجوه البرِّ والخير فيها. وهو تعالى يربط إنفاقَهم بابتغاء مرضات الله تعالى وهو الإيمان. ثم يُعَقِّب عليه بقوله تعالى [وتثبيتاً من أنفسهم]. وتفسيره كما يراه كاتِبُ هذا التذوق وكما يُحَدِّث به سياقُ الآية الكريمة هو تثبيت من أنفسهم على فِعْل الخير والمسارعة إليه وتحبيب فعل الخيرات الى النَّفس ورياضتها على العطاء والبذل والإنفاق الصالح ـ لصعوبة تثبيت النفس على البذل لما جُبلت عليه النفوس من حُبِّ المال والحرص الشديد عليه كما قال تعالى في سياق آخر [وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] العاديات: ٨.

إن مَثَل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم ابتغاء رضوان الله

تعالى عليهم وترويضاً لأنفسهم على عمل الخير وبذل المال مَثَل (التمثيل أو التشبيه التمثيلي الآتي نسقه).

حديقة على مكان مرتفع مستو[1] أمطرت مطراً شديداً. وبديل تكون النتيجةُ انجرافَ التربة بالكامل وتخدُّدَ الحديقة والأشجار فيها كان هذا المطر الشديد عاملَ تخزين وريٍّ لها فأعطت مثلي ما تُعطيه كُلَّ سنة من الثمار والانتاج. فكأنَّ المحنةَ التي كان يُخشى أن تَمُرَّ بها من غير سلام قد كانت نعمة مضاعفة لها. فإنْ سَلِمَتْ من المطر الشديد الذي هو عذاب أكثر منه رحمة في مثل هذه الأماكن المرتفعة، فإنَّ المطر الخفيف والرذاذ يتكفَّل بأن يُنبتها الإنبات الذي فيه تجود بالثمار والمحصول وتظل فيه مُحافِظةً على خصبها ودرجات عطائها.

وفي محاولة استخلاص وجه الشبه من التشبيهين المركبين اللذين يسيران في موازاة تامة نلمح أنَّ الإنفاق في الأمرين هو الذي قد حَرَّك الصورة في كل طَرَفٍ حتى صارت كل جهة في «انفراج» حاد في فقدان الخير ومعاودة فعله أو في زيادة الإقبال عليه ومواصلة البذل فيه وله. إنَّ المطر الشديد قد غادر الصفوان صلداً فكأنه قد زاده «انعدام خير ونفع» والمطر الشديد قد غادر الجَنَّة بربوة ذات عطاء كبير ونفع عميم. وهكذا يكون التوجه الى الخير في بناء الدولة الإسلامية أو هكذا يكون مآل أعمال

---

(١) يقول البيضاوي في ذلك: «فإن شجره يكون أحسنَ منظراً وأزكى ثمراً»: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مصور عن طبعة الآستانة ١٣٢٩هـ) دار الجيل - ص ٦١.

المؤسسات والدول والتجمعات المشبوهة في دنيا الكافرين ضد الإسلام وأهله ـ كمثل ما عَبَّر عنه الله تعالى بقوله [القوم الكافرين]. وكأَنَّ هذه الآية الكريمة قد كانت التحذير المستقبلي للمجتمع المسلم من هجمة الاستعمار الصليبي وهجمة الاستعمار اليهودي من خلال الإنفاق المؤسسي أو الجماعي الإنفاق يقصد منه قتلُ عروق الحياة في المجتمع المسلم ووأد الحياة الإسلامية في نفوس أبنائه وهو ما يفيده قوله تعالى (القوم) عن الكافرين في هذا المضمار. ولو أنَّ عندنا صحافيين من غير النوع الذي يأكل إعلانات الموتى في بلاد يعرب لكنت تجد الأرقام المذهلة عن أحجام الصفقات السياسية والاقتصادية والتخطيطية وراء واجهات يظن أنها المؤسسات وما هي بالمؤسسات ويظن أنها البنوك وما هي بالبنوك ويظن أنها دور العبادة وما هي دور العبادة لأن دور العبادة في بلاد هؤلاء لا يرتادها أحد لتأدية الصلوات فيها. إنه التخطيط بعيد المدى للكفر في قنوات «جماعية» يُعَبِّر عنها لفظ (القوم الكافرين).

وكأنَّ قولَه تعالى عقب آية الجَنَّة بربوة [والله بما تعملون بصير] دلالة على أنَّ المسلم مأمور أن يخطط لدولته ومجتمعه مئات السنوات الى أمام. وقوله تعالى [تعملون] إشارة الى استمرارية العمل المنتج والعطاء المستمر. وقوله تعالى [بصير] تهييج الى استخدام أفضل القدرات في وجوه الانتاج وتلمس أحسن الوجوه للإنفاق لا كهؤلاء الذين عَمَّت أعطياتهم بلاد الكفر من منغستو الى ماركوس في الفلبين، ومن جلادي العالم

الإسلامي ومخربي بيوت الله تعالى الى ردٍّ إفلاس الجامعات اليهودية في نيويورك وغيرها من المدن ذوات التجمعات اليهودية الكاثرة. وكل ذلك من غير حياء ولا خجل تحت راية الإسلام والتمسح به من غير وجه حق. فإن أسمعتهم الحقَّ غضبوا، وإن باركتَ سفَهَهم طربوا.

وبعد أن رَسَم الله تعالى هذه المفارقات المحسوسة بين مجتمع الإسلام المتحرك بكل صنوف الامتلاء الاقتصادي واستمرارية البذل والانتاج والتبصر في وضع الأموال مواضعها التي تُقَوِّي لبنَاتِ المجتمع وتحول دون بعثرة موارده كمثل ما نراه في أقطار بترولية ما كان أبعدها عن روح الإسلام ومقاصده ـ ذهب الله تعالى درجة أخرى على سبيل تخصص العمل المسلم في داخلية المجتمع المسلم ولصالحه في الحاضر ومستقبلاً. فضرب له هذا الخيار الصعب أمام هذين المناخين:

١ ـ رجل عنده بستان مثمر من النخيل والأعناب والمياه وكان عمدة حياته وكان قد هرم فلم يعد بمقدوره أن يبدأ من الصِّفر وكان عنده أولاد صغار فأصاب هذا البستانَ صاعقة من نار فأحرقته.

٢ ـ رجل يعيش ظروفاً عادية من حيث يعول أولاده ويكبرون، ومن حيث تتحسن موارد كسبه. فإنْ أدركه الكِبَر كان له

العِوض من ذريته، وكان له العِوَضُ من بعض مكتسباته وجائز أن يُعطى ثراء كبيراً وفضلاً كثيراً[1].

وواضح أن المسلم الحصيف لن يَوَدّ أن يكون في دائرة الاختيار الأول لأنَّه حتماً سيخسر كُلَّ شيء: نَفْسَه أولاً، وأولادَه ثانياً، وعمادَ ثروته ثالثاً. فكذلك ما يبدو أنَّ الحرص على المال ومحاولة حجبه عن وجوه البِرِّ والإنفاق على سبل تدعيم الاقتصاد الإسلامي المنتج ولا أقول للفقراء فقط لأن الفقر قد يكون في الدول أعم منه في الأفراد كمثل ما نجد عليه دولنا أمام الجبابرة العمالقة من الدول التي تجول في المحيطات وفي الأجواء ونحن آخر من يعلم بالتحركات والأهداف. مثل هذا المناخ لا يضع المسلم الحصيف في موقع الذي تهزه الأريحية للعطاء وتضعه في موقع الطمأنينة الى أن الله تعالى قد تكفل بطريقة غير مباشرة تأمين المسلم المعطاء ضد الأحوال الحادة الطارئة على حياة البشر وَحَسْبُ؛ ولكنه يضع المسلم الحصيف في موقع المتربص بالمحق وسوء المآل والمنقلب إن هو انصرف الى تكثير أمواله وحجبها عن موارد تدعيم الاقتصاد المسلم وتقوية نوازع الخير والانتاج فيه. وأيُّ دولة في الدنيا يمكن لرعاياها أن يكونوا في مثل هذا التصور لو كان القرآن الكريم هو الحكم والفيصل والسلطة والآفاق. ويتحدث الذين كَبُرَ عليهم

---

(١) يقول ابن النحاس أن التقدير محمول على أن المعنى «أيود أحدكم لو كانت له جنَّة. وأصابه الكبر» إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٨٨. وواضح أن التخيير افتراضي.

أن يـروا الإسـلام هـو المهيمن على الأرض عن تحسين نـوعيـة المـواطن ونفسية المـواطن وتنمية مـدركـات المـواطن ومـا درى هؤلاء أنَّ أكبر الجشعين في مجتمعاتهم إنمـا هم أكبر المتعلمين وأكبـر المتنفذين وأكبـر الـواصلين الى السلطة ومـراكـز الثـروة. تصوَّروا معي نوعية المواطنين في الدولة الإسلامية الواحدة حين يفهم كـل مُسلم عن رَبِّـه بلسـان عـربي مبين دلالات هـذه التشبيهات وقوَّة الإحسـاس بها من خـلال توكيـد نشرهـا والحوار معها في سائر القنوات الإعلامية في الـدولة الإسـلامية الـواحدة بديل هذا الصخب غير الطاهر وغيـر المبارك الـذي يزكم أنـوف الهمسفيـر Hemisphere في اثيرنـا الأرضي هـذا المجني عليـه. وأين هذا التصور من مواطني الدول التي حُـرمت نعمة الاسـلام ومقاصده حاضراً ومستقبلاً ومآلها جنة من نخيل وأعناب فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت.

وقـولـه تعـالى: [كـذلـك يبين الله لكم الآيـات لعلكم تتفكـرون] إشارة الى المسلم الحصيف الـذي يفهم عن رَبِّـه أنَّ هـذا الـذي قـد أورد مـورد التشبيـه والتخبيـر ليس من قبيـل الشكليات فقط ولكنه حتميـة مبرمـة جاءت في تضـاعيف اختيار سهـل ومـا هـو بـالسهـل عنـد من يفهم عن ربِّـه ويـزن الأمـور بموازينها الصحيحة. وشتان ما هما: مُفَكِّر وغير مفكر. إنَّه سُلَّم التدريج والدرجات في تقسيم الحظوظ والأجور يوم القيامـة وإنه نظام التفاوت والمنافسة والسَّبق الى مقاعد الصـدق عند المليـك المقتدر.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

دعوة الى المؤمنين كي يظلوا على العهد دوماً مُدَعِّمين للاقتصاد المسلم القادر على تكثير سبل الخير وإيجاد فرص العمل الشريفةِ المنتجة لكل القادرين عليه. وأن يكون ذلك جهداً وصناعة وتجارة وأن يكون ذلك زراعة أيضاً، وأن يكون ذلك كله من الكسب الطيب لأنَّ الله تعالى طيِّب لا يقبل إلاَّ طيباً ولأن الكسب الطيب هو الذي يُضاعف الى سبعمائة ضعف من الأجر والثواب يوم القيامة كما مَرَّ التشبيه به في سياق السَّنابل والحبِّ أو قد تمضي المضاعفة من جديد بكل حَبة حتى تدور الى سبعمائة ضعف وهكذا دواليك. وهل يقبل المسلم أن يضاعف له في الكسب غير الطيب يوم القيامة؟ الجواب حتماً بالنفي. وإذن فلا تذهب المسلم عينُه الى شيء من الكسب غير الجيد أو قل من الانتاج الرديء يتصدق به ويتخلص منه كأنَّه يتخلص من المواد العادمة لأنه لو امتحن هو نفسه بمثل هذا العطاء لكان به بَرِماً وفيه مُغمضاً[١] (بالتساهل وغض البصر والمخالجة). ثم يجيء قوله تعالى واضحاً [واعلموا أن الله غنّي حميدً. فمن ابتلي بشيء من ذلك فليعلم انَّ المقاصد ينبغي أن

---

(١) انظر في تبين جمال الاستعارة في قوله تعالى [ولستم بآخذيه إلاَّ تغمضوا فيه] كتابنا: من أساليب البيان في القرآن الكريم ص ١٣٨.

تكون خالصة لله تعالى. فإن كانت لله تعالى فالله تعالى هكذا يوجِّه وهكذا يضع الأمور بالقسط لأسباب المعايش والحياة اليومية في الاجتماع والاقتصاد. فالمسلم عليه أن يردَّ الأمور الى الله تعالى وأن يتوخى رحمته ومرضاته في مثل هذه الأعمال. ثم يعقِّب تعالى بقوله [الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم].

الشيطان يزيِّن بمنطقه أنَّ الإنفاق يُورِّث الفقر ومن ثَمَّ فلا مصلحة له في أن يقوم خيرٌ البتة. ولا يقف الأمر عند ذلك، وإنما يأمر الشَّيطان أصحاب رؤوس الأموال بالفحشاء فتجدهم ينفقون أموالهم ـ إلَّا من رحم الله تعالى وقليل ما هم ـ على الخمور والنساء ونوادي القمار والفواحش ما ظهر منها وما بطن وتجدهم غلاظ الأكباد جُفاة. وهذه صورة صارخة مقابل صورة مجتمع الإيمان حيث الله تعالى يَعِدُ المؤمنين المنفقين في سبيله تعالى مغفرةً منه على المدى القريب والعاجل، وتوسعة في الرزق وتكثيراً في الأموال وفضلاً على المدى البعيد والآجل. وتقديم المغفرة على الفضل لهو للعقلاء أثمن من كل ما عداها، إذ أين فضل الدنيا من مغفرة الله تعالى للمؤمن؟ على أنَّ قوله تعالى [وفضلاً] واضح الدلالة على أنَّ ربَّ العالمين يُكَثِّر (بضم الياء وفتح الكاف وكسر الثاء المضعَّفة) الأموال أيضاً على الحقِّ والحقيقة. وهذه بشارة للمؤمن لا يدركها أغبياء العقول من أصحاب الأرباح الفورية والاستجابة السَّريعة. وقوله تعالى [والله واسع عليم] إشارة الى المؤمن أنَّ اللهَ تعالى ربما قَدَرَ على

الناس رزقَهم على سبيل الخير لهم عن علم ومقاصد عليا. فالمؤمن لا يجادل في أمور كهذه وما عليه إلاّ أن يُسَلِّمَ تسليماً لاختيار الله تعالى وتصريفه الأمور. إنَّ الله تعالى يستطيع أن يُوَسِّع على المؤمن إن شاء فهو عليم بالأمور كلها.

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ[1] وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

واضح أنَّ الحكمة في هذا النسق الكريم دلالتها الهامشية تشير الى المؤمنين الذين يفهمون باللمح والإشارة عن رَبِّهم ويقيسون الأحوال والمشابهات. ولذلك كان رسول الله يفهم القرائن عن ربِّه تعالى ولو لم ينزل بها الوحي صراحة من مثل قوله ﷺ وقد نزلت عليه الآية [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا] المائدة: ٣. قال ﷺ في حِجَّة الوداع فيما ذكره ابن هشام: «... فإني لا أدري لَعَلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً»[2].

ولعلَّ قوله تعالى [يَذَّكُر] في هذا السِّياق - كما يراه كاتب هذا التذوق - صورة مستقبلية تُبَيِّن كم يكون ذوو الألباب سعداء

(١) من: اسم شرط يجزم فعلين. يُؤْتَ: فعل مبني للمجهول ونائب فاعل والحكمة مفعول به ثان. وما يراه كاتب هذا التذوق أن «خيراً في سياق الآية مفعول به ثان والضمير المستتر هو نائب الفاعل.

(٢) أبو محمد عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه ج (٣، ٤) ص ٦٠٣.

يـوم القيـامــة حين يكتشفـون أنَّ تقــديـراتهم كــانت صحيحـة واجتهاداتهـم صائبة. يُنْبيك بمثل هذه الحلاوة للتذكـر والذكـرى قول المؤمنين في الجنة وقد قدِّمت لهم الموائد [كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ] البقرة: ﴿٢٥﴾. وإذن فالـربط بين المتشـابهات والقـرائن والتذكـر سيكون لهـا شأن في تـذوق المناخ الجديد والوعي على هذا التذوق.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

يقول ابن النحاس: «يكـون التقديـر: وما أنفقتم من نفقـة فـإنَّ الله يعلمها ومـا نذرتم من نَـذْرٍ فـإنَّ الله يعلمـه ثم حـذف، ويجـوز أن يكون التقـدير: ومـا أنفقتم من نفقةٍ فـإنَّ اللهَ يعلمـه وتعـود الهاء على «مـا». . . ويكون «أو نـذرتم من نذرٍ» معـطوفاً عليه»[1].

وفيما يراه كاتب هذا التذوق أنَّ الحذف وتكثيف المعـاني سمـة القرآن الكـريم. وبذلـك يكـون أسلوب القـرآن في هـذا النسق أسلوبـاً قد تعمَّـد أن يكـون «يعلمـه» عـائـدة الى النَّـذْرِ، ويكون صَدْرُ الآية مرتبطاً ارتباطاً حتمياً بما بعده. إنَّ ذلك أنصع جمـالاً، وأوضـح بيـانـاً، وأرشق بنـاءً من تقـديـر أنَّ «فـإن الله يعلمها». إن التقدير حاصِـل، ولكن عدم ذكـرها هـو أوضح من

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٠.

ذكرها في هذا الموضع وهذا السِّياق. إنَّ الحذف هنا هو الحذف البياني الجمالي الذي يجعل لأسلوب القرآن الكريم طعمَه المميَّز أبداً. ولفظة «يعلمه» ما كان أحسنَها في هذا السِّياق ذلك أنها تضع المؤمن في موقف المتجدِّد بالعطاء دائماً فالأمر ليس رهن وقت بعينه واندفاعة بعينها وموجة قد جاءت وذهبت. إنَّ التجدُّدَ في شحن العزائم واستمرارية البَذل ستظل لفظة «يعلمه» تضيء له الطريق، وتذكره إذا نسي، وتؤنسه إذا استوحش.

وقوله تعالى [وما للظالمين من أنصار] في هٰذه القرينة إشارة الى ما يستوحشه الظالمون لأنفسهم من الذين يعيشون في المجتمع المسلم لكنهم لا ينتفعون من الأوامر والتوجيهات الرَبَّانية ـ حين تخلو السَّاحَةُ من أقرانهم وقرنائهم. إنهم لا يتوقعون من الله تعالى حسن الجزاء لأنهم لم يُقدِّموا لله تعالى أيَّ رصيد يُرْصد. وأين هؤلاء من المؤمنين الذين لهم عند ربِّهم رصيد قد علمه الله تعالى ـ ربما كان خفية عن النَّاس جميعاً. ولعَلَّ «يعلمه» هنا لها صفة العمل الذي يُقدِّمه المؤمن خِفيةً عن النَّاسِ جميعهم إلاَّ ما كان بين المؤمن وربِّه تعالى.

قوله تعالى ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

يسوق ابن النحاس وجوه الجوازات في قراءة «فَنِعمَّاهي» ثم يقول: «فمن قرأ «فَنِعِمَّاهي» فله تقديران: أحدهما أن يكون

جاء به على لغة من قال: نِعِمَ، والتقدير الآخر: أن يكون على اللغة الجيدة فيكون الأصل نِعْم ثم كُسرت العين لالتقاء الساكنين»[1].

والتقدير الإعرابي كما يراه كاتب هذا التذوق هو:

إن : حرف شرط جازم يجزم فعلين.

تبدوا : فعل مضارع مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل. وتبدوا: فِعْلُ الشرط.

الصَّدقاتِ : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة الظاهرة لأنه جمع مؤنث سالم.

فَنِعِمَّاهي : الفاء واقعة في جواب الشرط. ونِعْمَ: فعل مخصوص للمدح على صيغة الحرف. و «ما» اسم نكرة بمعنى شيء وهي «في موضع نصب على التمييز، على ما اختاره المحققون من النحاة. وهو أقرب الأقوال فيها»[2] ويكون التقدير: نِعْمَ شيئاً هي، أي الصَّدقات، والمعنى: فَنِعْمَ شيئاً ابداؤها[3]. ويكون التقدير هي: مبتدأ مؤخر، نعم شيئاً: خبر مُقَدَّم.

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٢) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية جـ ١ (المكتبة العصرية: صيدا ـ بيروت: ١٩٧٣م) ط١٢. ص ٧٨.

(٣) المصدر ذاته ص ٧٩ الحاشية ملاحظة رقم ٢.

وكاتب هذا التذوق يرى في أساليب القرآن الكريم وفي صيغ النصوص وتراكيبها خَلْقَاً (بتسكين اللام) سَوِيَّاً يمكن أن يُحتذى وأن يكون المثال من غير ضرورة الى أن يُخَضَّع (بصيغة المجهول وتضعيف الفعل) للقواعد النحوية والتعميمات في هذا الشأن. وما أحسنَ ما تناوله الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه «الفعل: زمانُه وأبنيتُه» من مناقشة لمثل هذه الأساليب والصيغ قال:

«ومن هذه الأساليب أسلوب المدح والذم ويعبر عنه بمادة (نعم) للمدح و (بئس) للذم و (حبذا) للمدح و (لا حبَّذا) للذم. وهذه المواد من الأفعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية، وهي الحدث المقترن بالزمان للدلالة على المدح أو الذم في أسلوب خاص كما في «نعم الولد زيد» و «بئس المرأة هند»».

ويضيف الدكتور ابراهيم السامرائي مُعلِّقاً:

«وقد كان النحويون الأقدمون في حيرة من هذه بسبب إعراب هذه المواد في الجمل التي تقع فيها، فقد اختلفوا فيها. فذهب جمهور النحويين ان «نعم» و «بئس» فعلان بدلالة دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما. وذهب جماعة من الكوفيين ـ ومنهم الفراء ـ الى أنهما اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليهما نحو قولهم: والله ما هي بنعم الولد... ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهما في النصوص الفصيحة وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه»[1].

---

(١) الدكتور إبراهيم السامرائي: الفعل: زمانه وأبنيته. ط٢ (مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٠م) ص ٧٤.

ويقول الدكتور ابراهيم السامرائي بعد ذلك:

وقلت: لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة الصحيحة وأكثروا من الاعتماد على الأمثلة التي اصطنعوها هم أنفسهم نحو: نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو، ونعم رجلاً زيد. وبئس رجلاً عمرو، ونعم غلام القوم زيد وبئس غلام القوم عمرو. ومثل هذا النمط من الأمثلة لم نعرفه في لغة التنزيل، وذلك ان «نعم» وردت في ست عشرة آية، وفي جميع هذه الآيات يرد هذا الفعل مسنداً الى مرفوعه ولم يرد ما أسموه بالمخصوص بالمدح وهو «زيد» كما في قولهم «نعم الرجل زيد».

ثم يُعَدِّدُ المؤلف المواضع التي ذكرت فيها «نِعْمَ» والمواضع التي ذكرت فيها «بئس» في كتاب الله تعالى ويقول:

«ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها «نعم» وللآيات التي وردت فيها «بئس» ان النحاة لم يشغلوا أنفسهم بشيء كثر في لسان العرب بل اهتموا بمسائل لم ترد إلاّ قليلاً وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب شتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم. غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي يعد النموذج الصحيح للعربية في هذه الفترة التاريخية»[1].

(١) المرجع ذاته ص ص ٧٥ ـ ٧٨.

وإن تخفوها: أداة الشرط الجازمة وفعلها المجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والفاعل ضمير مستتر تقديره انتم والهاء في محل نصب مفعول به.

الواو للعطف، تؤثرها: معطوفة على تخفوها.

الفقراء: مفعول به ثاني.

فهو خير لكم: الفاء واقعة في جواب الشرط. هو خير: مبتدأ وخبر.

ولو أنا شئنا الموازنة الدقيقة ـ وهو ما ينبغي أن يكون، لوجدنا أنَّ «فنعماهي» هي عدل «فهو خيرٌ لكم». وبذلك تكون «نِعِمَّا» ـ كما يراها كاتب هذا التذوق ـ هيئة مخصوصة للمدح مبنية في محل رفع مبتدأ وهي في محل رفع خبر المبتدأ أو قل إنها خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر. وبهذه الطريقة في تتبع أنساق الكلم في كتاب العربية الأول: القرآن الكريم وفي نصوص العربية نكون قد أحرزنا «نقلة نوعية» على سبيل فتح النوافذ على نصوصنا الرائعة القادرة على تحريك سائر النفوس سائر الأوقات.

وفي إعراب «ويُكَفِّر» بالرفع يقول أبو جعفر بن النحَّاس: «أجود القراءات (ونكفرُ عنكم) بالرفع هذا قول الخليل وسيبويه»[1]. وهو ما يراه كاتب هذا التذوق ويختاره للطيفة بيانية. ذلك أن الرفع يضع الفعل متحرراً من روابط «إنْ»

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٢.

الشرطية. وما كان الله تعالى ليجعل التكفير عن السيئات بعضها أو كلها مرتبطاً ارتباطاً حتمياً بابداء الصدقات أو إخفائها. جائز أن يفعل وجائز أن لا يفعل. ألا له الحكم. وبذلك تكون هذه إشارة للحكماء وذوي الألباب أن هناك علاقة كبيرة ما بين فعل الصدقات والتكفير عن السيئات. ولكن ما هي درجة ارتباط هذه العلاقة وفي أي السيئات يكون فلا أحدَ يعرف ذلك إلاَّ الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

يقول أبو جعفر بن النحَّاس في تفسير قوله تعالى [ليس عليك هداهم ولكنَّ الله يهدي من يشاء]:

«تكلم جماعة في معني يَهدي وَيُضِلُّ فمن أَجَلِّ ما روي في ذلك ما رواه سفيان عن خالد الحَذَّاء عن عبد الأعلى القُرَشِي عن عبد الله بن الحارث عن عُمَر أنَّه قال في خطبته: «من يهده الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له» وكان الجاثليق حاضراً فأومأ بالإنكار فقال عمر: ما يقول؟ فقالوا يقول: إنَّ الله لا يهدي ولا يُضِلّ. فقال له عمر: كَذَبْتَ يا عَدُوَّ الله بل الذي خلقك وهو يضلك ويدخلك النار إن شاء الله. إنَّ الله خلق أهل الجنَّة وما هم عاملون وخلق أهل النار وما هم عاملون. فقال: هؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه. فما بَرِحَ الناس يختلفون في القَدَر.

قال أبو عبيد: قال اللهَ تعالى [والله خلقكم وما تعملون]»[1]. (الصافات: ٩٦).

وما يراه كاتبُ هذا التذوق أنَّ الآية الكريمة في النسق الكريم إنما تَحُثُّ رسولَ الله ﷺ على البلاغ وعلى تبيان وجوه الخير والثواب في الإنفاق والبذل والتصدُّق وَتُعْفِيْهِ من حتمية الاستجابة الكاملة. ولو شاء الله تعالى لآمَن مَنْ في الأرض جميعاً كما صرَّح تعالى في سياق آخر: [ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً] يونس: ٩٩. إنه في هذا التفاوت في الاستجابة يقوم سِرُّ الابتلاء وتتفاوت الدرجات، وَتُنْصَبُ موازينُ الأفعال. وهذا في الوضوح الواضح.

والتقدير الإعرابي لهذا المقطع:

عليك: خبر ليس مقدم في محل نصب.

هداهم: هُدى: اسم ليس مرفوع بضمة مقدَّرة وهي مضاف وهم ضمير مضاف إليه مبني في محل جر.

لكنَّ: حرف استدراك.

اللَّهَ: لفظ الجلالة اسمها منصوب وجملة يهدي مَنْ يشاء في محل رفع خبر لكن.

يهدي: فعل مضارع مرفوع بضمة مقَدَّرة منع من ظهورها الثقل. والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو يعود الى لفظ الجلالة.

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

مَنْ : اسم موصول بمعنى الذي مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

يشاء : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره. والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو يعود الى لفظ الجلالة ولا يحتمل غير ذلك البتة في السِّياق.

أقول ذلك وقد رأيت رأيَ العين نصارى عرباً ممن وظَّفتهم دوائر الأكليروس في الخرطوم في الستينات يروِّجون بين الأهلين المسلمين مقالات تشكيكية من مثل: الذي يشاءُ من الناس ان يهديه الله فالله يهديه ومن شاء من الناس أن يرزقه الله فالله يرزقه. وهذا ليكون في الردِّ على المقولة الكبيرة والمغالطة الفاضحة التي تقوم عليها اجتهادات المؤسسة الكنسية النصرانية: ما يُرْبَط في الأرض لا يُحَلُّ في السماء (وحَتَّى صكوك الغفران المهازل!).

قوله تعالى [وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم].

ما : شرطية جازمة.

تنفقوا : فعل الشرط مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو للجماعة فاعل.

من خيرٍ : جار ومجرور متعلقان بالفعل «تنفقوا».

فلأنفسكم : الفاء واقعة في جواب الشرط. وأَنْفُسِكُم مجرور ومضاف ومضاف إليه والميم للجمع.

والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره «تمهدون». يفسِّره أجملَ تفسير وأبينَه قولُه تعالى في سياق آخر [مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ] الروم: ٤٤.

ومثل هذه الجملة الإعرابية جملة [وما تنفقوا من خيرٍ يوف إليكم وأنتم لا تظلمون].

واضح أن الواو حالية وجملة «أنتم لا تُظْلمون» في محل نصب على الحال من الضمير في إليكم. ولاخفاء بجمال قوة التوكيد في هذه الجملة التوكيد اللفظي أولاً والتوكيد المعنوي ثانياً. فقوله تعالى (لا تظلمون) توكيد معنوي لقوله تعالى (يُوَفَّ إليكم) لأن المستوفي لم يُظْلَم (بصيغة المجهول). وهذا لذوي الألباب في الحتمية المبرمة أنَّ الذي قد أُنفق في سبيل الله قد كان رصيداً أكبر عند الله تعالى، وقد يكون في الدنيا والآخرة كمثل ماألمحت إليه الآية السابقة [والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً].

وأمَّا قوله تعالى [وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله] بين «جناحي» الحديث عن الإنفاق واستيفاء الحقوق فواضح أنَّه التأكيد على أنَّ الإنفاق في وجوه الخير الذي يستوجب الاستيفاء عند الله تعالى هو الإنفاق الذي يكون ابتغاءَ وجه الله تعالى ـ كمثل ما تحدَّثت عنه آيتا التشبيه التمثيلي في «الصفوان» و «الوابل» وفي «الجنة بربوة» و «الوابل». وعليه يكون التقديرُ

الإعرابيُّ للآية الكريمة في هذه الجملة ـ كما يراه كـاتبُ هذا التذوق:

ما : نافية.[1]

إلَّا : أداة حصر.

تُنفقـون : فعل مضـارع مرفـوع بثبـوت النـون لأنـه من الأفعـال الخمسة والواو للجمع والفاعل.

ابتغـاءَ : مفعول لأجله منصـوب وهو مضـاف ووجه مضـاف إليه ووجه مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه.

ويكون معنى الحصر في السِّياق أنَّ الإنفاق ابتغاء وجه الله تعالى هو المحصور باستيفاء الحقوق كاملة غير منقوصة عنـد الله تعالى. ومِنْ ثَمَّ تكونُ جُمْلَةُ الحصر جُمْلةً اعتراضية لا مَحَلَّ لها من الإعـراب جـاءت على سبيـل التحـوُّط والتنبيـه. ولا خفـاء بجمال تساوق البيان والعلاقات النحويـة في هذا النسق القـرآني الكريم على النحو الذي قد قُدِّم (بصيغة المجهـول) والذي هـو عند أهل النفوس الشَفَّافة قِمَّةُ التناغم والاتِّساق والانسجام.

قـوله تعـالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) يتفق هذا الرأي مع ما ذكره أبو جعفر بن النحاس في إعـراب الآية، لكنـه قَدَّر أن تكون ما الأولى وما الثالثة في موضع نصب على المفعـولية وهـو ما لا يراه كاتب هذا التذوق لأن طرفي المعادلة يوضحان وجود طـرفي الشرط وبغيـر ذلك يضيـع معنى ترقب النتـائج (انـظر: اعـراب القـرآن جـ١ ص ٢٩٣).

ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

قوله تعالى [للفقراء] بين آيتين من آيات الإنفاق لهو أوضح من الوضوح أنَّ أولى النَّاس بهذا المرفق هم هؤلاء الذين أحصروا في سبيل الله. وواضح من الأولوية في هذا المرفق أنها تتصل اتصالاً مباشراً ببناء الدولة الإسلامية والعسكرتارية التي تمدُّها بِعَصَب الجهاد والمرابطة وحرارة الغيرة على النصوص القرآنية وعلى الانجازات الإسلامية وعلى الأعراض الإسلامية. إنَّ هؤلاء الذين يجودون بأنفسهم في سبيل الذَّود عن الإسلام، ما كان منه فكراً وما كان مؤسساتٍ وإنجازاتٍ لهم أولى النَّاس بأن يكون لهم في المجتمع المسلم ما يجعلهم قادرين على الوفاء بالتزاماتهم. إنَّهم الطلائع الأولى للحفاظ على الإسلام فكراً وعقيدة وثقافة وفقهاً وتشريعاً ونصوصاً حَيَّة قادرة على المنافسة في كل جنبات الحياة وتضاعيف الأعمال. إنهم هم المنظرون الحقيقيون لمقاصد الشريعة في الأرض ما كان على مستوى القيادة وما كان على مستوى الخنادق والمتاريس. وهم الخَفَرُ الحقيقيون الذين بآرائهم تقوى حركات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذين بمواقفهم يَكْبُرُ الصغار على تذوق الطاعات وتحمل المسؤوليات والتعاظم على التحديات، والذين من خلال تضحياتهم بأنفسهم في سبيل الله تقوم الحجة على المزايدين والمترددين والمُسوِّفين والمتعللين بالمبادرات

وبـالأوقات وبـالإمدادات والتجهيـزات. إن هؤلاء لا يستطيعـون ضَـرْباً في الأرض لأنهم شغلوا أنفسهم بقضـايا الإسـلام الكبرى من جهـاد فكري وعسكـري ومرابـطة وليس بإمكـانهم أن يتخلوا عن مواقع الثغور في الأمة الإسلامية من أجل أن يكسبوا لقيمات أو يشتـروا ملابس وحـاجات. إنَّ كبـرياء التحـدي على مستـوى الأمة لهو عندهم أكبر من التحـدي على مستوى الفـرد والضرب في الأرض وكسب القوت. فإن كـان ثمة اختيـار بين أمرين فهم المُضَحُّـون في قوتهم ورزقهم في سبيـل أن تبقى رايـة الإسـلام خَفَّـاقـة وفي سبيـــل أن يـظل الإســـلام هـو النـظام الأعلى في الأرض. فإن وُفِّر (بصيغة المجهول) لهم القليل من الخير فإنهم يكونون أقدر على صنع البطولات وهم لهم الأولويـة في الإنفاق إن كان ثمة إنفاق.

كـان هؤلاء أهل الصُفَّـة في الإسلام حبسـوا أنفسهم على طاعة رسول الله ﷺ والجمع بين العسكـرتاريـة الفكريـة إن جاز التعبير والعسكرتارية العسكرية[1]، فكانوا قوام الدولة الإسلاميـة النـاشئة ويـدها التي تبـطش بهـا وعَصَبَهـا الـذي يمنحهـا قـدرة المنـاورة والمناجـزة والمصاولـة. كان هؤلاء فقـراء فأغنـاهم الله تعالى من فضله على عهد رسوله ﷺ. وكان من بعد ذلـك ديوان الخـلافة حيث أعـطي للنَّاس الأعـطيات على قـدر سابقتهم الى

---

(١) ويقول البيضاوي: «وقيل هم أهل الصفّة كانوا نحواً من أربعمائة من فقـراء المهاجرين يسكنـون صُفَّة المسجـد يستغرقـون أوقاتهم بـالتعلم والعبـادة و كـانوا يخرجـون في كل سـرية بعثهـا رسول الله ﷺ» أنـوار التنزيـل ص ٦٢.

الإسلام وتضحياتهم فيه فكان هؤلاء أصحاب الدخـول المرتفعـة من شاء أن يأخذ ومن شاء أن يستغني.

ودار الزمان دورَته، فمن مَلَكَ أسباب المال في مجتمعاتنا هذه فهو القـادر على أن يوحي بثقله ورأيـه بطريقـة أو بأخـرى. ومن كان من الذين أحصروا في سبيل الله فهو أكثر الناس ضياعاً في المجتمعات «الأسريـة» في بلاد الثـروات النفطيـة وما جـاور منهـا ومـا لم يجـاور. إنَّ هؤلاء هم ضميـر الأمـة الحي الـذين يعيشـون أمجاد الإسـلام على الحقيقة غيـرة وانتشاء أو تمـزقـاً. ولكن هؤلاء لا سبيل الى تصدرهم مصائر الأمـة واتخاذ «القـرار» لأنهم أبعدوا مالياً فأبعدوا على مستوى الـرأي والمشورة وأبعـدوا عن قنوات التأثر والتأثير.

وبخســارة هـذا القــطاع من النـاس، فـإنَّ المجتمعـات الإسلامية هـذه التي يَنقَضُّ عليها ذؤبـان الأقليات المختلفـة من حمـل منهم اسماً عـربيـاً غيـر إسـلامي ومن حمـل منهم اسمـاً إسلامياً وهـو على غير دين ـ تـدفع الثمن غـالياً في خلو السَّـاحة من أهل الحل والعقد وأهل العزم الصادق والغيـرة الأكيدة. ولـو رأيت ثَمَّ رأيتَ يا سيدي يا رسولَ الله نَوْعِيَّة الشخصيـات في كل عاصمة عربية وإسلامية الـذين يتخذون القـرارات المصيريـة في مجـالس الشيوخ والأعيـان والبرلمـانات الـوضعية وفـراغ قلوبهم إلَّا مــن رحـم الله وقــليــل مــا هــم مــن أمــجــاد الإســلام فـكــراً وواقـعــاً لـقـلـت: إنَّ أمـتـنــا قــد تُــودِّع (بـصـيـغـة المجهول) منها. وما لم تبدأ حركة التصفيات الاجتماعيـة لإعادة أهل الحَلِّ والعقد الى موقع القيادة في كابينة (أهـل الصُّفة) ومـا

لم تبدأ حركة إعادة أهل الوصول الانتفاعي الى مواقعهم وحجومهم في البيع والشراء والحرف والاعمال (وبعضهم كسبهم غير مشروع وبعضهم الربا قد أعطاهم الحظوظ الوافرة وبعضهم في طول هذا العالم قد هَرَّبَ الذهب وبعضهم الحشيش وبعضهم الأفيون و و و مئات غيرها) في طول العالم الإسلامي وعرضه، فإنَّ حركة تغيير ما في نفوسنا حتى نكون أهلاً لرحمة الله تعالى ما أحسبها بالقريبة أو الكائنة.

أحصروا : حبسوا أنفسهم على الجهاد.
ضرباً في الأرض : سفراً للتجارة والمعاش.
الجاهل : الجاهل بحالهم.
من التعفف : لتعففهم عن السؤال وتركه.
تَعْرِفهم : يا مخاطب.
بِسيماهم : علامتهم من التواضع وأثر الجهد.
لا يسألون الناس إلحافاً : لا يسألون الناس شيئاً فيلحفون إلحافاً أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح[1].

وفي سيماء يقول أبو جعفر بن النحاس: «ويقال في هذا المعنى: سيمياء»[2]. ويقول في «إلحافاً» مصدر في موضع الحال أي ملحفين[3]. وفي إعراب «إلحافاً» يراها كاتب هذا

---

(١) انظر: تفسير الجلالين للآية الكريمة وأنوار التنزيل ص ٦١ وما بعدها.
(٢) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٣.
(٣) المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

التذوق تفيد الحال والمصدر لأغراض تجدد الفعل أي مرَّة بعد مَرَّة بعد مَرَّة. ويحسن تسميتها وأمثالها بالمصدر المتجدد[1].

أما إعراب «ضرباً» في السياق فهو منصوب على التمييز. «وما تنفقوا... الآية» ما: شرطية جازمة كمثل ما رأينا في الآية الكريمة السَّابقة.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

الذين ينفقون أموالهم بالليل والنَّهار: رفع بالابتداء والخبر (فلهم أجرهم عند ربِّهم). ويقول أبو جعفر بن النحاس في مناقشة دخول الفاء على الخبر:

«ودخلت الفاء ولا يجوز: زيد فمنطلق لأن في الكلام معنى الجزاء أي من أجل نفقتهم فلهم أجرهم وهكذا كلام العرب إذا قلت: السارقُ فاقطعه فمعناه من أَجْلِ سَرِقته فاقطعه»[2].

وما يراه كاتبُ هذا التذوق أنَّ السِّياق في الآية الكريمة يتضمن حذفاً على طريقة الإيجاز المكثف. والتقدير: «فإن كان إنفاقهم في سبيل الله فلهم أجرهم». والإيجاز المكثف سمة

---

(١) طالع في هذا الشأن كتابنا: في التذوق الجمالي لمعلقة امرىء القيس (دراسة نقدية ابداعية) (مكتبة الأقصى: عمان: ١٩٨٧م).

(٢) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٣.

القرآن الكريم وعنوان من عناوين فصاحته وبيانه وإعجازه. فيكون «كان» فعل الشرط والفاء واقعة في جواب الشرط. والتقدير الإعرابي ـ كما يراه كاتب هذا التذوق كالتالي:

الَّذين: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.
ينفقون أموالهم: فعل وفاعل ومفعول به ومضاف إليه.

والجملة صلة الموصول لا مَحلَّ لها من الإعراب. و «بالليل» جار ومجرور في موضع الحال والتقدير: «ممسين ومصبحين». سراً وعلانية: أحوال منصوبة أي «مُسرِّين ومعلنين». ولو صُرِفت معاني الليل والنهار الى الظرفية كما قدَّر أبو جعفر بن النحاس[1] لانتفى عنصر المبادرة والتصميم عن هؤلاء الذين لهم عبادة لا يؤدونها إلاَّ ليلاً ولهم عبادة لا يؤدونها إلاَّ نهاراً ومن ثَمَّ يكون الإنفاق قد قُصِدَ أن يكون ليلاً كما قد قُصِد أن يكون نهاراً وقُصِدَ أن يكون سِرّاً كما قد قُصِدَ أن يكون علانية. إنَّ كل حالة كانت لها مُسَوِّغاتها الأفضل. والتقدير: يسيرون على الطريق الصحيح.

وتكون الجملة المفهومة من السِّياق في

(١) يقول: ومعنى «بالليل والنهار» في الليل والنهار. انظر: إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٣.

محل خبر للمبتدأ «الذي». ومن ذلك يتبين أنَّ الإيجاز في مثل هذه الأساليب هو أكبر من مجرد حذف اسم أو فعل فقط؛ وإنما القارىء النابه له دور كبير في ربط الأفكار بعضها ببعض من خلال علائق الكلم وتراكيبه المختلفة. ومن ثم يكون التعقيب: فإنْ كان إنفاقُهم في سبيل الله فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوفٌ عليهم، ولا هم يحزنون.

والتقدير الإعرابي:

لا: حرف نفي وهي هنا مهملة غير عاملة[1].

خوف: مبتدأ مرفوع.

عليهم: جار ومجرور خبر المبتدأ.

لا: حرف نفي.

هم: مبتدأ مرفوع.

يحزنون: الجملة الفعلية من الفعل المرفوع بثبوت النون الفاعل وواو الجماعة في محل رفع خبر المبتدأ.

قوله تعالى: [الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا. فمن جاءه موعظة من ربه

(١) انظر: جامع الدروس العربية جـ ٢ ص ٢٩٩.

فانتهى فله ما سلف وامره الى الله، ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون]: ٢٧٥.

الذين يأكلون الربا : مبتدأ.
لا يقومون... المسّ : خبر المبتدأ.

«قال محمد بن يزيد: كتب الربا في المصحف بالواو فرقاً بينه وبين الزنا وكان الربا أولى بالواو من ربا يربو»[١].

والربا: الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل.

لا يقومون : (من قبورهم).
ذلك: الذي نزل بهم.
يتخبطه : يصرعه.
المسُّ : الجنون.
بأنهم : بسبب أنهم.
قالوا إنما البيع مثل الربا : في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة.
فقال الله تعالى رَدّاً عليهم : وأَحَلَّ الله البيع وحَرَّم الربا.
فمن جاءه : بلغه.
موعظة : وعظ.
فانتهى : (عن أكله).

---

(١) إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٤. وانظر تفسير البيضاوي للآية الكريمة.

فله ما سلف : قبل النهي أي لا يسترد منه.

وأمره : في العفو عنه.

(الى الله ومن عاد) : الى أكله مشبهاً له بالبيع في الحل (فأولئك أصحاب النَّار هم فيها خالدون)[1].

قوله تعالى: [لا يقومون إلا كما يقوم. . . المس].

إلَّا : أداة حصر؛ كأنَّ قيـامَهم هو من خـلال هذه الـدائرة وهـذه الرؤية.

وكاتب هذا التذوق يرى أنَّ القيـام هنا هـو قيام في الـدنيا وإن كان القيام من القبـور وارداً[2]. ذلك أنَّ صـورة الآخرة أمـر يتصـل بالآخـرة وأمَّا القيـام في الدنيـا فصـورة تـلابس الأعمـال والأحـوال. ولمَّا كـان اللهُ تعالى هـو الذي يعلم السـرَّ وأخفى، ويعلم مـا في الصُّدور؛ فـإنَّ حديثـه عن قيـام هؤلاء من نـومهم وجلوسهم وصفة هذا القيـام التي تشبه الصَـرَع بمَسِّ الشيطان لا بُدَّ وأنْ يكون حديثاً يُشْعِرَ (بصيغة المجهول) بالتحوُّلات الخطيرة التي تعتري الإنسان الذي يتعاطى الـرِّبا ويستمـرئه. يُعـزِّزَ ذلك

---

(١) انظر: تفسير الجلالين للآية الكريمة.

(٢) إشارة الى مثل قوله تعالى: [أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝] سـورة المـطففين: ٤-٦. وقـد أورد أثيـر الدين ابن حيان الأندلسي قول ابن عباس ومجاهد وجبير والضحاك والربيع والسدي وابن زيد بأن معناه لا يقومون من قبورهم في البعث يوم القيامة إلا كـالمجانين عقـوبة لهم ثم يقـول: وقال بعضهم يجعـل معه شيـطان يخنقه كأنه يخبط في المعاملات في الدنيا فجـوزي في الآخرة بمثـل فعله: البحر المحيط (مكتبة ومطابع النصر الجديدة، الرياض جـ٢ ص ٣٣٣.

قوله تعالى «كما يقوم» بصيغة المضارع المستمر المتجدِّد. وكأنَّ «يقومون» هي في التجدُّد والاستمرار ما دام الرِّبا يواقِعُه صاحبه. وهي صورة نفسية منفِّرة ومخيفة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ كُلَّ نفس عليها حفظة من الملائكة ويستنسخون المَقامات والأحوال والتغيُّرات. ولأنَّ هذا الحديث مُوَجَّهٌ الى المسلمين في المجتمع المسلم فكأن المرابي والمواقع للربا يدخل من دائرة يكون فيها أمر عناية الله تعالى قائماً الى دائرة من الوحشة والتوحش وقلة العناية بحيث تصبح أي حركة لهذا المبتلى وكأنه يتخبَّطه الشيطان. يفسِّر ذلك قرن مقام الرِّبا الى مقام الزنى في الأحاديث النبوية الشريفة. ففي حديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «قال رسول الله ﷺ: لدرهم رباً أشَدُّ عند الله من أربع وثلاثين زنية أهونها إتيان الرَّجُلِ أُمَه». وعن أنس رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه وقال: لأن يزني الرجل ستة وثلاثين زنية خير له من أن يأكل درهماً من رباً».

فمن كان يرابي بعشرات الألوف فما ثقل الحوبة تكون على قلبه ووجهه وشكله؟ إنَّها حتماً في النفور الشديد. وهي صورة حَيَّة متجددة تظلُّ تحفز المسلم الغيور لممايزة نفسه عن هؤلاء الذين يحملون جرثومة «قيام التخبط الشيطاني» لدرجة يقوم معها حاجز نفسي ما بين قطاع المسلمين الأطهار وقطاع هؤلاء الذين رضوا أن يكونوا في دائرة التخبط. وفي الآخرة عذابهم حدَّث عنه حديثُ المعراج. قال رسول الله ﷺ:

«ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أرَ مثلها قَطُّ بسبيل آل فرعون[١]، يمرُّون عليهم كالإبل المهيومة[٢] حين يعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحوَّلوا من مكانهم ذلك. قال: قلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكَلَة الرِّبا»[٣].

[ذلك بأنَّهم قالوا: إنما البيعُ مثل الربا وأحَلَّ الله البيع وحَرَّم الرِّبا].

إنَّ هؤلاء يسوون بين البيع وبين الرِّبا في الوقائع والنتائج ولكنهم مغالطون. إنَّ الله تعالى الذي يعلم حَقَّ العلم النتائج البعيدة المدى المترتبة على الرِّبا و «دورانه» في المجتمع الإنساني ليعيد هؤلاء الى صوابهم كي لا يجازفوا في مغالطات لا يعرفون مقدار أضرارها وشرورها. وها هي دائرة الرِّبا قد اتسعت وتمايزت عن البيع والشراء بما يجعل أنظمة العالم الاقتصادية: الرِّبا ودرجات التعامل معه هو أساس الممايزات والمفارقات.

ولو أنَّ أحداً من مغالطي الجاهلية على عصر صدر الإسلام بُعِثَ الآن حيَّاً ليرى العالم الرأسمالي المبني على نظام الفائدة Interest ودوران الربا وأثره في دوران عجلات الاقتصاد لأيقن الحجم الكبير الذي ترتب على مغالطته التسوية بين

(١) خصَّ آل فرعون، لأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة. قال تعالى [أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب].

(٢) المهيومة: العطاش.

(٣) السيرة النبوية المجلد الأول ص ٤٠٥.

الأمـرين. ونحن الآن في أواخر القـرن العشـرين أمـامنـا مثـلان عملاقان على الرِّبا في المجتمع الرأسمالي وعلى البيع والشـراء في المجتمـع الاشتراكي والفجـوة الواسعـة بين النـظامين. مـع تقييد أن المجتمع الاشتـراكي الماثـل أمامنـا ليس بالضـرورة أن يكون مثلاً حَيَّـاً على البيع والشـراء ولكن دلالته تكفي من حيث انتفاء اعتماد النظام الربوي سبيلاً الى بناء الاقتصاد؛ ومـع تقييد أن المجتمع الرأسمالي ليس بالضـرورة أن يكون مثـلاً حَيًّاً على أثـر الـربـا في المـجتمعـات ولكن دلالتـه تكفي من حيث وقـوع الظلم على الأفراد وطحنهم مـع عدم إنكـار أنَّ دول هذا النـظام فيها الكثير من التشريعات لحماية المؤسسات والأفراد.

إنَّ هؤلاء الجـاهليين بمنطقهم السَّـاذج قـد رأوا أنَّ الـرِّبـا مغامرةٌ مثل ما البيع والشراء مغامرة. بل لقد رأوا عنصر المغامـرة في البيع أكثر منـه في الرِّبـا لأنَّ حجم الأرباح في الـرِّبا محـدود بينما الربح في البيع جائز أن يقفز أضعافاً مضاعفـة وفي زمن قد يكون قليلاً نسبياً. ولعَلَّ هـذا قد يَصْـدُق في الحالات الصغيـرة جـداً والتي لا تحتمـل أن تكـون عبئـاً على اقتصـاد الفـرد أو الجمـاعة. ولكنَّ الله تعـالى الـذي ينـظر من وراء سُجُف الغيب ويعلم حجم الفروقات المترتبة على كل منطق ما كان ليـدع هذه الشرارات الصغيرة لتأخذ طريقها الى إحراق المجتمع الإنسـاني بأسره. ولَعَّلَ الذين كانوا يَمُرُّون بآيات الربـا والأحاديث النبـوية الشريفة المتعلقة بتحريم الربا وشروره ـ قبل مئات السنين ـ كانوا يرون أنَ الأمرَ أهـون من كل هـذه القبائـح التي تقترن مـع آكل الربا ومتعاطيه؛ على الأقل على ضوء قلة «خراب البيوت» الذي

كان منتشراً في العصور البدائية الأولى القائمة على المقايضة والبدائل الكثيرة للمال. أمَّا اليوم وفي عصرنا الحاضر فيتبين للمسلم أنَّ حجم القبائح المرتبطة بهذا النظام الأصفر القبيح الوجه واليدين واللسان والذي نواقعه في أكثر بلدان العالم الإسلامي بل ونباهي بأننا من أصحاب فلكه ودورانه ونورِّط فيه الشعوب والناس والأفراد، ونُوَرِّث فيه الأضغان والأحقاد، ونُغَذِّي من خلاله الخبائث والمراقص ومسارح العري والخزي في العواصم التي كان يمكن أن تكون منارات التحول نحو الغنى الحضاري الإسلامي على مستوى العالم ـ لهو أقل بكثير من شروره القريبة والبعيدة. وإذا كان المرابي يقوم كالذي يتخبطه الشيطان من المسِّ، وإذا كان المرابي «يربح» على كل درهم رباً ستاً وثلاثين زنية أقلها إثماً إثم ناكح أُمِّه ـ وبذلك يكون قد أوقع نفسه في المخازي والنجاسات والمهالك؛ فإنَّ المجتمع الذي يتلقى مساوىء المرابي سيظل يدفع الثمن بعد الثمن بعد الثمن حتى يصبح كمجتمع بيروت الاقتصادي. لأن المال الحرام لن يُفْرِّخ ـ أيُّها السادة والسيِّدات ـ غير الحرام، ولأن الخبيث لن يخرج نباتُه إلاَّ نكداً، ولأنَّ الربح سيكون لازباً من دم الأبرياء وعرقهم وجهدهم وتعاساتهم.

وعجبي من شراذم هذه الأمة ومن زعاماتها الدينية والدنيوية ـ وهما عندي مصطلحان مرفوضان جملة وتفصيلاً ـ كيف يسمحون لمثل هذه المخازي تستمرىء في بلادهم وقريباً من ساحاتهم؟ وهل في مثل هذه الأحوال من

منجىً ومن مفازات؟ إنَّ إيثار العافية والسَّلامة على المصادمة وتحمل المسؤوليات لن يعود على أحد بالعافية والسَّلامة. سوف تكبر الحوبة وتنتشر وستظل تصب لعنات الجريمة والسخط حتى يصبح المجتمع بكامله أهلاً لأن يُدَمِّرَ الله تعالى عليهم دورهم وقصورهم ويصبح سافلها عاليها. وإذا كان الجاهليون قد كَفُّوا عن تعاطي الرِّبا خوفاً من القبائح التي قد توعَّد الله بها عباده وهم بين متشكك في البعث ومنكر له، فما بال أقوام مسلمين - وبعضهم يحج الى البيت الحرام - يتعاملون بالرِّبا أو يسكتون عن التعامل به بين ظهرانيهم ولا يأخذون على يد المسيئين ومستغفلي هذه الأمة المغلوبة على أمرها؟ أو يظنون أنَّ الله تعالى تاركهم وهذا التهاون في أمر دينهم ودنياهم؟ كفاكم غطيط نوم ولا مبالاة سادرة! كفاكم كفاكم كفاكم. وحتى نحقن الاقتصاد الوطني في العالم العربي بالدَّم البريطاني واليهودي الأمريكي واليهودي السويسري واليهودي الفرنسي نذهب متطوعين طائعين نستدعي البنوك من ماركة الرِّبا اليهودي كي تتحمل مسؤوليتها في بناء اقتصادنا الوطني. وعليها أن تطمئن بالاَّ الى استتباب الاقتصاد فالدَّولة في كل بلد عربي - إلاَّ من رحم الله تعالى وقليل ما هم - تتكفل بحماية الرساميل الأجنبية وتمنحها تسهيلات جمركية وائتمانية واعفاءات ضريبية. ويأتي هؤلاء، ظاهرهم: التردد والخشية على أموالهم وبسط الدعاوى أن بلدان العالم الإسلامي ليست البلدان الأكثر مغامرة في مثل هذه الأسواق المالية، ويكون باطنهم المفكر: اذهب اذهب وافتح في كل عاصمة

آلاف المـراقص وآلاف المخامـر وآلاف المؤسسات المشبـوهـة وادعـم الشيـاطين الحمر واتصـل بكل عـدو للإسـلام والمسلمين وغذِّه بالمال الحرام حتى يكون في وضع ينقضُّ فيـه على مئات المصالح لهذا القطاع المسلم الذي يلهث وراء المواد التمـوينية والفخفخة الرياشية والألبسة الجوخية والعادات القبلية والعنعنات العشائرية. ومن ها هنا فإنني أتحدى أحداً من عالمنا الذي يعج بهذه القبائـح أن يطلع علينـا ببيان يعلن فيـه نظافـة معاملاته من مرض الكوليرا (المالي).

وقـالها رَبُّ العـالمين صريحـة [وحَرَّم الـربـا] فمـا بـالكم تُحِلُّون ما حَرَّم الله تعالى. وإذا كان الله قد حَرَّم الـرِّبا فهـل بقي بعد التحريم من جـوازات واستثناءات وتعـلات وأعذار واهيـات وتسويغات صفراوات. ألا تريـدون أن تموتـوا على دين الإسلام أيها المرابون في المجتمعات الإسلامية؟ أمَّا غير المسلمين فـلا ألومهم وأمَّا المسلمون فما عذرهم؟ وهل أحد في الدنيا يجبركم أن تكونوا في هذا المستنقع الرذائلي السخطي الشيطاني؟؟؟.

وما كان أحلاه قوله تعالى البيع والرِّبا ثم قوله البيع والـرِّبا في هذا السِّياق الكـريم [ذلك بـأنهم قالـوا إنما البيـع مثل الـربا وأحَـلَّ الله البيـع وحَـرَّم الـربـا]. إنَّ ذلـك أقـوى في إبـراز جـو المفارقات وتسمية الأمور بأسمائها والتأكيد عليها وعلى مدلولاتها وتحـريك قـوة الإحساس بهـا وبحيثياتهـا. زِدْ على ذلـك جمـال الموسيقى الداخلية لعلائق الحروف وقرب مخارج حروفهـا على اللسـان من خلال تكـرار ألفاظ بعينهـا بالكمـال والتمـام بمـا لا

يخفى على أصحاب النفوس الشفّافة ومتـذوّقي الإنسياب الأدبي الرائع في النصـوص الجميلة. وما كـانَ أحسَنه قـولُه تعـالى في هذه الحُلّة الأدبية الرقيقة وهـذه «الغُلالَـة» الشفّافـة: [فمن جاءه مـوعـظة من ربـه فـانتهى فله مـا سلف وأمـره الى الله ومن عـاد فـأولئـك أصحـاب النـار هم فيهـا خـالــدون] الفـاء في «فمن» للاستئناف مع ما فيها من التهييج.

مَنْ : اسم شرط فعله الفعل الماضي وجوابه: فله ما سلف وأمره إلى الله. والفـاء في «فله» واقعة في جـواب الشرط مـع ما تفيـده من التهييج أيضـاً. ومثلها قـولـه تعـالى: ومَنْ عـاد فأولئك... الآية.

والموعظة أتت هؤلاء والإسلام لا يزال يتنزل فمن كان قـد سبق بربا فأكله فلا يُستـرجع منـه على اعتبار أن المسؤوليـة تبدأ مع البلاغ الإسـلامي والوضـوح الإسلامي. ومـع هذا وذاك فلم يعلن رَبُّ العالمين أنَّ أمر الغفران قد تَمَّ وإنما درجة العقوبة قـد اعتـراها إعـادة النظر. وأمَّـا الذين ولـدوا في الإسـلام ويعلمـون التحريم حَقَّ العلم وتطرق مسامِعَهم (بفتح العين) مئاتُ العِظات والإرشـادات والخُـطَب والمقــالات والتخـويفــات والإنـذارات والنصوص والآيات فما أظنُّ أنَّ قوله تعالى [فله ما سلف] ينطبق عليه. إنَّ هؤلاء ينبغي أن يعودوا بالكامل عن الذي قد أكلوه وأنْ يندموا أشدَّ الندم على ما فرطوا في جنب الله وفي حَقِّ أنفسهم، وأن يتطهروا من الـرجس كمثل مـا ولدتهم أمهـاتهم. وليس غيرُ التـوبة النصـوح بـالتي تـطهـرهم من هـذه الأدنـاس والأرجـاس

والقبائح والأحوال والمخازي .ولو كان الأمرُ يتصل بهم وحدهم لقلنا إنَّ ذلك حق الله تعالى عليهم وهو أعلم حيث يضع غفرانه. ولكن حين يكون كل دينار زرعوه قد أثمر بذوراً جديدة للجريمة والرذيلة والقبح والمخازي. وهل يَصْفَحُ مَنْ كان ضحيَّة المال الحرام من الناشئة والحائرة و «السائبة» والسَّارحة وضحايا اذاعة لندن وضحايا إذاعة مونت كارلو وضحايا إذاعة صوت الإنجيل وضحايا إذاعة صوت إسرائيل وضحايا إذاعة صوت موسكو للإذاعة العربية وكل هذه الأبواق الثقافية الموجهة لتحريك العالم الإسلامي نحو البلبلة والتمزق والضياع والضبابية الفكرية وترك الإسلام ظهرياً؟ وهل يظن الجهلة من النَّاس أنَّ هذه الإذاعات بكامل أطقمها وميزانياتها إنما هي تعمل ليل نهار لتطربه بالأغاني والألحان من أجل سواد عينيه فقط ولأنه سيدها وهي مولاته وأَمَته (جاريته) أم إنه كحية الكوبرا يطربها السَّاحِرُ حتى تنتشي فيحملها ليبيعها في الصيدليات. فإن التقى مالٌ حرامٌ زرعه مُسلم مع فكر ضبابي خريج هذه المدارس الموجَّهة من الجَوِّ وال Hemisphere فأين ثمة تكون الخطايا وأي مَسْرَبٍ سيكون المالُ الربوي قادراً على أن يرديه (هذا الفتى) فيه؟؟ فهل يتبين هؤلاء حجمَ الحُوبة المترتبة على دوران الربا في بلادهم وقبل فوات الأوان؟ وحتماً فإنَّ هذا الكتاب حين يقع في أيدي أبنائنا المسلمين حين تقوم الدولة الإسلامية الكبيرة العملاقة التي هي آتية لا ريب فيها حتى يكون الإسلام ظاهراً على الدين كله سيكون غريباً بعض الشيء إذ لن يصدِّق هؤلاء الذين وُلدوا في نقاء المناخ

الإسلامي أنَّ بلادنا العربية قد شهدت مثل هذه النجاسات التي نرفع عقيرتنا ضدها وننزل سوط اللوم واللعنات عليها. نريد هذه تذكرة لهم كي لا يتهاونوا في جزئيات الأمور حتى لا تنتقض عليهم كبارُها.

قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

يمحق الله الرِّبا : أي يذهب ببركته ويذهب المال الذي يدخل فيه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرِّبا وإن كَثُرَ فعاقبته الى قُلّ.

يُربي الصَّدقات : يزيدها وينميها في الدنيا بالبركة وكثرة الأرباح في المال الذي خرجت منه الصدقة. وقيل: الزيادة معنوية وهي تضاعف الحسنات والأجور الحاصلة بالصدقة كما جاء في كثير من الآيات والأحاديث[1].

والله لا يحب كلَّ كفار أثيم : فيه تغليظ أمر الربا وإيذان أنَّه من فعل الكفار لا من فعل أهل الإسلام وأتى بصيغة المبالغة في الكافر والآثم وإن كان تعالى لا يُحِبُّ الكافر تنبيهاً على عظم أمر

---

(١) انظر: البحر المحيط جـ ٢ تفسير الآية.

الربا ومخالفة الله وقولهم إنما البيع مثل الربا
وأنه لا يقول ذلك ويسوِّي بين البيع والربا
لتستدل به على أكل الربا إلاَّ مبالغ في الكفر
مبالغ في الإثم . وذكر الأثيم على سبيل
المبالغة والتوكيد من حيث اختلف اللفظان.
وقال ابن فورك: ذكر الأثيم ليزول الاشتراك
الذي في كفار إذ يقع على الزارع الذي يستر
الأرض[1].

وكاتب هذا التذوق يرى أن الإشارة الى الكَفَّار والأثيم في السِّياق مقصود بها المسلم. إنَّ تعاطيَه الرِّبا سوف يجعله في منزلة هي منزلة الكَفَّار الأثيم. وذلك يتفق مع حجم الحُوبة التي تحدَّثت عنها الأحاديث النبوية من التشبيه بالزنا ونكاح الرَّجل أُمَّه وغير ذلك من التهديدات الحالقات الماحقات. أمَّا أن يكون الله تعالى لا يُحِبُّ كُلَّ كفار أثيم ـ من الكافرين فذلك تحصيل حاصل. وقوله تعالى (لا يُحِبُّ) واضحة دلالتها على تبيان مقاصد الشريعة الإسلامية واتجاهها الصحيح لدى المسلم. فالمسلم المتحرج لدينه المستبرىء لأماناته وعِرْضه فيعرف أين ثَمَّة تكون محبَّةُ الله تعالى وأين لا تكون؛ وأمَّا المسلم غير المتحرج لدينه ـ فيكون قد اختار الطريق التي لا يُحِبُّها الله تعالى بعد أن أتاه البلاغ والإنذار. وهذا حَتماً أكثر سماجة من

---

(١) المصدر ذاته ص ٣٣٦.

الكافر الكافر الذي لم يُتح لنفسه أن يَسْمَعَ كلامَ الله أصلاً فيمايز بين المحبة وعدم المحبة وبين وجوه الاستحسان ووجوه النهي والتحريم. يُعَزِّز هذا الاستنتاجَ حديثُ الله تعالى بعد ذلك عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم حديثُه تعالى الى المؤمنين بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) ثم حديثُه تعالى (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون).

وما يمكن أن يكون الكافرون على الحقيقة معنيين بذلك. إنهم حتماً المسلمون في المجتمع المسلم الذين يستصغرون الإقبال على مثل هذه الحوبة ويحسبونها أمراً هيِّناً وهي عند الله تعالى في منزلة هي منزلة الكَفَّار الأثيم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

توكيد على أن المؤمنين الذين يلتزمون بالطاعات ويداومون عليها ويفعلون ما يؤمرون فلهم أجورهم عند الله تعالى وهم على الحَقِّ فليمضوا قُدُماً في أعمالهم. وفي ذلك تثبيت لهم وتمكين لمسعاهم في تبين وجه الحق والمضيِّ قُدُماً فيه. وكأنَّ كاتِبَ هذا التذوق يلمح وجوه التباين بين قطاع من المسلمين سيكون أمرُ ازدهارهم النسبي الآني من موارد الرِّبا كبيراً كبيراً لِدرَجَةٍ يتطلع المؤمنون معها من حواليهم فتكاد الصورة في حجم المداخيل والثراء لا تكاد تُصَدَّق. فهؤلاء الصابرون الصابرون فكأن الآيَةَ تثبيت لهم في كل مجتمع وفي

كل زمان ومكان أنهم على الحق وأنهم لا يضيرهم أن يقفز أناسٌ على قمة أكياس المال من خلال الربا الذي يبدو لقريبي النظر أنَّه نعمة ولكنَّ الله تعالى كان قد تأذَنَّ بأن يمحقه بالكامل وأن لا يُبقي منه درهماً يعود بنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة. وهذه صورةٌ كان الإحساس بها في الماضي قليلاً لأن خطر الرِّبا ما كان قد استشرى وظهرت دلائل خطره كما هو في المجتمعات المعاصرة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

واضح أنَّ الخطاب للمؤمنين وأنَّ الخطاب للذين يَظنُّون أنهم مؤمنون مع مواقعتهم للربا في حين أنَّ هذه المواقعة قد تدحرجهم الى منزلة الكَفَّار الأثيم الذي لا يُحِبُّه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

ولئن كانت الآية في بني عمرو بن عمير من ثقيف أو في غيرهم فإنَّ دلالتها عامَّةٌ بدليل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) وقوله تعالى (إن كنتم مؤمنين). وهذه الآية قد كانت الفاصل الحاسم بين مرحلتين من مراحل الزمن: مرحلة الجاهلية ومرحلة الإسلام. إنَّ كُلَّ ما تَعلَّق بالعقود السابقة التي أُبرمت في الجاهلية بشأن الرِّبا قد أصبحت لاغية بعد الإسلام، وهكذا فإنَّ الآية الكريمة قد كانت الإذن بفتح مناخ جديد ونقي في المعاملات لا يداخله رِباً من قريب ولا من بعيد.

ولم يكن أَحَدٌ قد تَضرَّر بفعل هذا التشريع ـ كما يبدو في عيون قريبي النظر ـ أكثر من أقربائه ﷺ كي لا يَظُنَّ ظَانٌّ من قريبي النظر أنَّ التحيُّف قد أصاب أناساً على حساب آخرين. ففي خطبة الوداع يقول ﷺ بما يعكس مناخ أنه قد بدأ بأقربائه قبل النَّاس في الانتظام في سنن المناخ الجديد والتحول الإسلامي:

«وإنَّ كُلَّ رِبَاً موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلمون ولا تُظلمون. قضى اللهُ أنَّه لا رِباً، وإنَّ رِبا عَبَّاس بن عبد المطلب موضوع كله، وأنَّ كلَّ دم كان في الجاهلية موضوع، وإنَّ أوَّل دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هُذَيل، فهو أوّلُ ما أبدأ به من دماء الجاهلية»[1].

وتأمَّل قولَه ﷺ: «قضى اللهُ أنَّه لا رِباً». أي أنَّ النظام الربوي لا مكان له في التشريع الإسلامي بتاتاً. وإذا كانتْ دول كافرة كالاتحاد السوفياتي لا يقوم فيها رِباً بالكامل؛ أفتعجز الدولة الإسلامية حين تقوم على القرآن الكريم أن تلغي النظام الربوي بالكامل؟ إنَّ هذا لا يعجزها. وحين تُقرِّر الدولةُ الإسلاميةُ إلغاء الرِّبا بالكامل فإنني من هاهنا لأهيبُ بالقائمين على ترسيخ الشرع الإسلامي في هذه الدَّولة أن يعاقبوا المسلمين المتورطين في هذه الأدناس معاقبة الذين تناهى إليهم

(١) السيرة النبوية المجلد الثاني ص ص ٦٠٣ ـ ٦٠٤.

إعـلان الحـرب عليهم من الله تعـالى ورسـولـه ﷺ. هم ليسـوا كـالمشركين الـذين نبتوا في الجـاهلية، وهـم ليسـوا كالمسلمين الذين كان التحول من الجاهلية والإسلام على أزمانهم وإنما هم من الـذين علموا أنَّ الله تعـالى آذنهم بالحـرب ومـع ذلـك قبلوا هذه الحرب وشرحوا لهـا صَدْراً. إنَّ هؤلاء دمُهم مهـدور حَسَبَ المنـطق الإسلامي لـلآية الكـريمة وإنَّ عـذابَهم العـذابَ الأليم على ما اقترفته أيديهم على يد الخليفة المأمول نظنُّه في الأعمال التي يحِّبها الله تعالى وسولُه ﷺ.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: «من عامَـل بالـرِّبا يستتـاب فإن تابَ وإلاَّ ضُربت عنقه»(١).

قوله تعـالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

العسرة: ضيق الحال من جهة عدم المال. ومنه جيش العسرة.

النظِرة: التأخير.

الميسرة: اليسر.

وقرأ الجمهور ذو عُسرة على أن كان تامَّة.

وأجـاز بعض الكوفيين أن تكـون كـان نـاقصـة هنـا وقـدَّر الخبر: وإن كان من غرمائكم ذو عُسـرة فحذف المجـرور الذي هـو الخبر. قـرأ الجمهور نـظرة على وزن نَبِقَـة. وقـرأ بعضهم: نظرة بسكون الظاء وهي لغة تميمية.

---

(١) البحر المحيط جـ ٢ ص ٣٣٨.

وقد جاء في فضل إنظار المعسر أحاديث كثيرة منها: من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه [1].

كان فعل الشرط والفاء في «فَنظِرة» واقعة في جواب الشرط. و «نَظِرة» «خبر لمبتدأ محذوف تقديره فالأمر أو الواجب على صاحب الدَيْن»[2].

(وأن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لكم) ابتداء وخبر[3]. وقوله تعالى (إنْ كنتم تَعْلَمون) تهييج لما يكونُه الغيبُ من ثواب وأجور في مثل هذه الأعمال التي يحسبها المرء قليلة وهي في الحقيقة تكون عند الله تعالى ذات وزن كبير.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

يوماً منصوبة على المفعولية.

والرجوع الى الله ليوم الحساب.

تُوفَّى كل نفس: تعطى وافياً جزاءً.

ما كسبت: من خير وشر. وقيل: إنَّ هذه الآية هي آخر ما نزلت من القرآن الكريم وروي أنه قال عليه

---

(١) المصدر ذاته ص ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) المصدر ذاته ص ٣٤٠.

(٣) انظر إعراب القرآن جـ١ ص ٢٩٦.

السلام: «جاءني جبريل فقال: اجعلها على رأس مائتين وثمانين آية من البقرة»[1].

وهذه في الدلائل الكبرى للمجتمع المسلم على أن أمْرَ النِظام الاقتصادي، وما تدور به عجلة هذا الاقتصاد في الدَّولة الإسلامية، ينبغي أن يَظَلَّ مُبَرَّأً من الرِّبا مهما كانت الضغوط، ومهما كان حجمُ التحديات، ومهما كان ميزانُ الخسارة لصالح ميزان الربح في موازنة الدولة، ومهما بدا أنَّه في الصعوبة مجابهة أعداء الإسلام؛ وذلك لأن المسلمين المؤمنين يتقون يوماً يُرجعون فيه الى الله ثم تُوفّى كُلَّ نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون. وهذا في الدلائل الكبرى على أن المجتمع المسلم هو المعنيُّ بالخطاب لأنَّ غير المسلمين المؤمنين لا يأبهون لوعد الله تعالى ووعيده. فهل يفهم المجتمع المسلم عن رَبِّه قبل أن يُدَمَّر اقتصادُه ويعود كل مسلم إلى رَبِّه وقد جاء إن لم يُصبه إثم الرِّبا فقد كان أصابَه رشاشُه؟!.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ

---

(١) انظر: البحر المحيط جـ٢ ص ٣٤١.

فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

وليملل : هـذه لغة أهـل الحجـاز وبني أسـد. وتميم يقـولـون: أمليت. وجاء القرآن باللغتين معاً. قال جَلَّ وعَزَّ [فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] (الفرقـان: ٥). والأصـل: أمللت أُبْـدِلَ من اللام يـاءٌ لأنَّه أخَفُّ. قـولـه تعـالى: (فإن لم يكونا رجلين فَرَجُلٌ وامرأتان).

فرجل : رفع بالابتداء، وامرأتان عطف عليـه. والخبر محـذوف أي فَرَجُلٌ وامرأتان يقومون مقامَهما وإن شئت أضمـرت المبتدأ أي: فالذي يُسْتَشهَد رجل وامرأتان[1].

تَضِـلَّ : فعل مضـارع منصوب بـأَنْ النـاصبـة وتـذكـر معـطوفـة عليها[2].

وكـاتب هذا التـذوق يُرَجِّـح أن تكـون الفـاء فـاء السببيـة

---

(١) انـظر: إعراب القـرآن جـ١ ص ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨. وانظر: البحـر المحيط جـ٢ ص ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) انظر: البحر المحيط جـ٢ ص ٣٤٩.

وبذلك تكـون تذكـر مرتبـطة بتضل فـإنْ حصل مـا يخشى عقباه تحركت الأخرى تعيد تفصيلات الوقائع وجزئياتها.

ونهى اللهُ تعـالى عن السآمـة في كتابـة الـدَّين كـل ذلـك ضبط لأموال الناس.

أقسط : أعدل.

أقـوم للشهادة : أثبت وأصـح[١]. صغيراً أو كبيـراً على الحـال: أعطيته دَيْنَـه صَغُرَ أو كَبُـرَ (ذلكم أقسط عند الله) ابتداء وخبر. (وأقوم للشهادة) عطف عليه.

(وأَدنى أنْ لا) في موضع نصب أي من أن لا. أي أقـرب لانتفاء الريبة[٢].

وقوله تعالى: (واتقوا الله، ويعلمكم الله، والله بكـل شيء عليم) واضـح قـولـه تعـالى أنَّ المقصـود هـو المجتمـع المسلم وطريقة بنائه من داخـل. ومن لا يتقِّ اللهَ تعالى فهـو ليس بأهـل لأن يكون إليه مثلُ هذه التفصيلات. وبذلك تبدو «يُعَلِّمكُمُ اللهُ» أنَّهـا الإشـارة الى المقـاصـد العليـا التي تقـوم عليهـا الـدَّولـةُ الإسلامية في جزئيات الأمور وفي كلِّياتها. ومن كان اللهُ معِلِّمَـه فلا حاجة لأن يذهب الى أفكار الممسوخين من البشر ينقل عنها تشريعات وتنظيرات كلما زِدْتها نظراً عاودتك بالإرتباك والتشويش وكلما حَسَّنت مرفقاً فتحت الويـلات على مرافق أخـرى. وحتماً

---

(١) انظر: البحر المحيط جـ٢ ص ٣٥١.

(٢) انظر: إعراب القرآن جـ١ ص ٣٠٠. وانظر المصدر السابق.

فإنَّ الأنظمة الإسلامية في المرافق المختلفة لن تُؤتي ثمارها كاملة في غير المناخ الإسلامي النقي والمتكامل. وإنَّ أولئك الذين يوافقون على أن الإسلام أفضل من بعض الأنظمة لأن المقولة تخدمهم في دفع شبح التحدي الحضاري لهم ولا يعملون بشريعة الإسلام في الأنظمة كلها إنما هم مفترون على الإسلام مُعَطِّلون لأحكامه وهم إمَّا أن يكونوا كافرين أو أن يكونوا فاسقين أو أن يكونوا ظالمين مصداق، قوله تعالى: [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ] المائدة: ٤٤. [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ] المائدة: ٤٧. [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ] المائدة: ٤٥. ألا فليختر هؤلاء لأنفسهم ما شاءوا من هذه الاختيارات الثلاث إن أصرُّوا أن يبعدوا الإسلام الحقيقي عن الساحة الفعلية في الحكم واتخاذ القرار والتطبيق الكامل والصورة الشاملة. وإذا كانت مضارَّة الكاتب أو الشهيد في العقود والمعاملات المالية من الفسوق فما أحسب أن مُعَطِّلة حكم الإسلام أن يكون هو العالي في البلاد الإسلامية في درجة أقلَّ من درجة الكفر ـ لو كانوا يعقلون. وما يؤخر هؤلاء العميان غير تكالبهم على الدنيا وشهواتها والنجاة بثرواتهم من أن تلاحقها الزكاة أو الصدقة أو الضرائب أو أن يكون فيها حَظٌّ لفقراء المسلمين وجياعهم وهم كثير كثير.

قوله تعالى: وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ

ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾

من : شرطية جازمة.

يكتمها : فعل الشرط.

فإنه : الفاء واقعة في جواب الشرط.

وقالوا في إعراب : (آثم قلبه) :

آثم : خبر إنَّ مرفوع.

قلبه : فاعل سَدَّ مسد الخبر.

أو قلبه آثم : على تقدير أن آثم خبر وقلب مبتدأ والجملة الاسمية في محل رفع خبر إنَّ.

أو آثم : مبتدأ.

قلبه : فاعل.

والجملة الاسمية في محل رفع خبر إنَّ[1]. أو أن يكون قلبُه بدل بعض من كُلٍّ كما ذكر ذلك ابن حيَّان[2] وهو ما يراه كاتب هذا التذوق.

وقال ابن حيَّان في تسويغ هذا الإعراب بيانياً:

«كتم الشهادة هو اخفاؤها بالامتناع من أدائها والكتب من معاصي القلب لأن الشهادة علم قام بالقلب فلذلك علق الإثم به

---

(١) ذكر الوجوة كلها ابن حيان في محيطه جـ٢ ص ٣٥٧. وابن النحاس في إعراب القرآن جـ١ ص ٣٠٣.

(٢) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٥٧.

وهو من التعبير بالبعض عن الكل ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب. وإسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ وآكد ألا ترى أنك تقول أبصرته عيني وسمعته أذني ووعاه قلبي فأسند الإثم إلى القلب إذ هو متعلق الإثم...»[1].

وفي التعليق على قوله تعالى عقب ذلك (والله بما تعملون عليم) يقول ابن حيَّان:

«فانظر الى هذه المبالغة والتأكيد في حفظ الأموال وصيانتها عن الضيَّاع وقد قرَنها رسول الله ﷺ بالنفوس والدماء فقال: من قتل دون ماله فهو شهيد وقال: ان دماءَكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم. ولصيانتها والمنع من إضاعتها ومن التبذير فيها كان حجر الإفلاس وحجر الجنون وحجر الصغر وحجر الرقِّ وحجر المرض وحجر الارتداد»[2] وأضيف: وحجر السَّفاهة هذه السفاهة في تبديد أموال البترول وعائدات النفط على الطرق التي يعرفها القاصي والداني بطريقة تسيء الى الإسلام والمسلمين في جميع بقاع الأرض ولا من مُعْتبِر!.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

إن تبدوا... يحاسبكم.

---

(١) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٥٧.

(٢) المصدر ذاته ص ٣٥٩.

إن : شرطية جازمة.

تبدوا : فعل الشرط مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

يحاسبكم : جواب الشرط مجزوم والكاف مفعول به والميم للجماعة ولفظ الجلالة فاعل.

فيغفرُ : عطف على معنى جواب الشرط وليس على اللفظ ومثلها يعذبُّ[1]. أو مرفوع على القطع[2].

وواضح أنَّ المشيئة تعود في الفعلين يغفر ويعذب الى الله تعالى ولا مكان لافتراض أن يكون الضمير المستتر في يشاء عائداً الى العبد ذاته كما «يكرز» بذلك متنصِّرة الخرطوم في الستينات إن كان قد بقي من «دهاقنتهم» أحد. قوله تعالى (والله على كل شيء قدير).

لفظ الجلالة فاعل وقدير خبرُه. وقوله تعالى (قدير) تدليل على أنَّ قولَه ينبغي أن يُحْمَل مَحْملَ التنفيذ وأن يكون كُلُّ نَصٍّ في دستور الدولة المسلمة هو مصدر السُّلطات وليس أمراً هامشياً.

قوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

---

(١) انظر: ابن النحاس: إعراب القرآن جـ١ ص ٣٠٤.

(٢) انظر: ابن حيان: البحر المحيط جـ٢ ص ٣١.

يقول ابن حيان: الألف واللام في الرسول هي للعهد وهو رسولنا محمد ﷺ. وقد كثر في القرآن تسميته من الله بهذا الاسم الشريف.

وما أنزل إليه من ربِّه: شامل لجميع ما أنزل إليه من الله تعالى من العقائد وأنواع الشرائع وأقسام الأحكام في القرآن وفي غيره.

آمن بأنَّ ذلك وحي من الله وصل إليه وقدَّم الرسول لأنه إيمانَه هو المتقدم وإيمان المؤمنين متأخر عن إيمانه إذ هو المتبوع وهم التابعون في ذلك[1].

ويناقش ابن حيان حُكمَ إعراب (والمؤمنون) ويرى أنها معطوفة على قوله الرسول ويقول: «ويؤيده قراءه علي وعبد الله «وآمن المؤمنون» فأظهر الفعل الذي أضمره غيره من القراء فعلى هذا يكون كُلٌّ لشمول الرسول والمؤمنين». ويقول: وجوزوا أن يكون الوقف تَمَّ عند قوله من ربِّه، ويكون المؤمنون مبتدأ وكل مبتدأ ثانٍ لشمول المؤمنين خاصة وآمن بالله جملة في موضع خبر كُلٍّ، والجملة من كُلٍّ وخبره في موضع خبر المؤمنين والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ الأول محذوف وهو ضمير مجرور تقديره كل منهم آمن[2].

وكاتب هذا التذوق يرى الوقف أولى عند قوله تعالى (من

---

(١) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٦٤.

(٢) المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

ربِّه). والمؤمنون: مبتدأ وكل مبتدأ ثان وهكذا. وبذلك يكونُ رسولُ الله ﷺ أعطي امتيازاً خاصًّاً ويكون التوكيدُ المعنوي «من ربِّه» بعد قوله تعالى «أُنزل إليه» دليلاً على أنَّ استجابة الرسول ﷺ قد كانت وافية. ثم يأتي دورُ المؤمنين الذين اسْتُجِيْبَ لهم بما فعلوه على الترتيب:

١ ـ الإيمان بالله.

٢ ـ الإيمان بالملائكة.

٣ ـ الإيمان بالكتب السماوية.

٤ ـ الإيمان بالرسل من غير ما تفريق بينهم.

٥ ـ ولسمعهم وطاعتهم وتوجههم الى الله تعالى يطلبون المغفرة وبإسنادهم المآل الى الله تعالى كما في مثل قولهم في فاتحة الكتاب التي هي أصل كل صلاة (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين).

قوله تعالى: [لا نفرق بين أحد من رسله]. يقول ابن حيَّان أن الجمهور قدروا «يقولون» أو «يقول» قبل السِّياق ثم يضيف: «وعلى كلا التقديرين فموضع هذا المقدَّر نصب على الحال». و «جوز الحوفي وغيره بأن يكون خبراً بعد خبر لكل»[1].

وكاتب هذا التذوق يرى أنَّ هذا السِّياق انما هو جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب جاءت على سبيل الاحتراس وعلى سبيل تعميق الموازنة بين أمة اليهود والنصارى الذين آمنوا

---

(١) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٦٥.

ببَعض الـرسل وكفـروا ببعض كمـا تحـدَّث الله تعـالى عنهم في سياق آخرْ: [ان الذين يكفرون بـالله ورسله ويريـدون ان يفرقـوا بين الله ورسله ويقــولـون نؤمن ببعض ونكفــر ببعض] النسـاء: ١٥٠. وبين أمــة محمـد ﷺ الــذين آمنــوا «بمــا أنــزل على محمـد ﷺ من ربِّه» كمثـل ما تصـدَّرتـه الآيـة الكـريمـة. هـذه الموازنة التي تـظلُّ تنعقد أمـام عيني المسلم في كل ركعـة وفي كـل صلاة في فـاتحة الكتـاب حيث يقـول الله تعـالى: [ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

غفرانك : أي من التقصيـر في حقك أو لأن عبـادتنا وإن كـانت في نهـاية الكمـال فهي بالنسبـة الى جلالـك تقصير. وانتصاب غفرانك على المصدر (نـائب عن المفعول المـطلق). وأجاز بَعْضُهم انتصـابه على المفعـول بـه أي نطلب ونسأل غفـرانك، وجَـوَّز بعضُهم الرفـع فيه على أن يكون مبتدأ أي غفرانك بغيتنا[١].

وإليك المصير : جار ومجرور خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر.

ولأنَّ أخـلاقَ رسـول الله ﷺ كـانت هـذه الأخـلاق، ولأنَّ إيمـانَـه كـان هـذا الإيمـان، ولأن أخـلاق أمَّتـه ﷺ كـانت هـذه الأخلاق، ولأنَّ إيمانَهـا كان هـذا الإيمان؛ فكـأنَّ الله تعالى قـد أحبَّ أن يبـاهي بهؤلاء الذين لم يَجُد الـزَّمـانُ بمثلهم الثقلين: الإنس والجِنَّ؛ فسـطَّرَ فَعالهم في القـرآن الكـريم قـرآنـاً يُتلى.

---

(١) انظر: البحر المحيط جـ٢ ص ٣٦٦.

وكم سيكـون فَرَحُ هؤلاء عـظيماً حين يسمـعُ هؤلاء في روضات النعيم وفي عليِّين مِثْلَ هذه الآيـات الكريمـة تتجاوب أصـداؤها في جنبات الجنان والمؤمنون على الأرائك ينظرون.

ومن ها هنا فإنَّ كاتب هذا التذوق يرى أن قولـه تعالى (لا نفرق بين أحد من رسله) هـو جملة اعتراضيـة ويباعـد أن يكون تقدير محذوف هو «يقولون» أو «يقول». ذلك أنَّه في هذا الفعـل نُحِسُّ توحيد الضمـائر بين الله تعـالى وبين عباده المخلصين من أمّة محمد ﷺ وحبيبهم محمد ﷺ. وكأنَّ المـلأ الأعلى في هذا الفعـل ينضم جميعاً الى تـوكيد وجهـة نظرهم ووضـع ثقلهم في القول: لا نُفرِّق ـ بنون الجماعة التي تضع الـرسالات السمـاوية كلهـا في ميزان الشمـولية الكـاملة والبلاغ لـلإنسانيـة جمعاء في جميع أقوامها وأطوارها. إنَّ نون الجمـاعة في هـذا السياق لهي تناغم سائر ما في الأكوان جميعاً تصديقَ الذي قد كان وتصـديق معادلاتِ الوجـود والابتلاء والحسـاب ودار الخلود. وهنيئاً هنيئـاً هنيئاً لصحابة رسول الله ﷺ مَنْ سمعـوا هذا القـول فيهم قبل أنْ يُـلاقوا ربَّهم. وتعسـاً تعسـاً تعسـاً للذين يُفَـرِّقـون بين أحـد من صحابة رسـول الله ﷺ الذين شهـد لهم رسول الله ﷺ وبشَّـرهم بالجنَّة وليسمعوا هذه الآيات في حقهم هنالك. فما ظنُّك بالذين يُفرِّقون بين أبي بكـر وعمر وعلي وعثمـان ينتصرون لبعض ضـد بعض انتصارات لا يريدها ذوو الشـأن ولا يشكرون عليهـا لأنهم كانوا أحبَّة رسول الله ﷺ جميعاً، كُلٌّ له شأنه، وكُلٌّ له احترامه، وكلٌّ له شرف المصاهرة من رسول الله ﷺ مُعطياً أو آخذاً، وكُلٌّ

بيَّن له رسولُ الله ﷺ مقعده من الجنَّة؛ وكان فيهم هذه المباهاة التي يتحدَّث عنها ربُّ العالمين بقوله تعالى: [آمن الرسول. . . والمؤمنون: كُلٌّ. . . الآية]. والأربعة من «كُلٍّ» - يا متزندقة اليهود والنصارى، ويا أشياعهم من جهلة هذه الأمَّة ومن أهل الضياع الفكري فيها. ولا يَغُرَّنكم الأسماء والألقاب: فمن جهل هذه الحقائق فهو لما سواها أكثر جهالاتٍ وأجدر ألَّا يعلم حدود ما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم. ومَنْ لم يُصَدِّق بصحاح «أهل الحديث» فهل لا يُصدِّق بكتاب الله تعالى الذي هو في اللوح المحفوظ ولا ينطق عن الهوى؟؟؟ مالكم كيف تحكمون؟ ولئن أتيح للدولة الإسلامية أن تعود، وإنَّها لعائدة بإذن الله تعالى، وكأني أسمع نداءات الله أكبر من بين الثنايا والبروق، فينبغي أن يُمتحن الذين يفرقون بين أحد من صحابة رسول الله ﷺ من حاربوا الغزوات كلها ومن بشرهم ربُّهم بالجنة - أمام الملأ من الناس فيستتابوا أو أن يُنفوا من بلاد الإسلام كائناً ما كان ارتباطهم في الصِّهر والنَّسب ودعاواهم في محبَّة السِّبطين الطاهرين ولدي فاطمة الزهراء رضي الله عن آل محمد ﷺ ورضي الله عن صحابته الكرام البررة.

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

لا تؤاخذنا : جزم لأنه طلب وكذلك (ولا تحملْ علينا إصراً) (ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقة لنا به) ولفظه لفظ النهي (واعفُ عَنَّا) طلب أيضاً ولفظة لفظ الأمر. ولذلك لم يعرب عند البصريين وجزم عند الكوفيين وكذا (واغفرْ لنا وارحْمنا) وكذا (فانصرْنا على القوم الكافرين)[1].

يقول ابن حيَّان في بيان معنى الآية:

«ظاهره أنه استئناف خبر من الله تعالى أخبر به أنه لا يكلف العباد من أفعال القلوب والجوارح إلَّا ما هو في وسع المكلف ومقتضى إدراكه وبنيته وانجلى بهذا أمر الخواطر الذي، تأوله المسلمون في قوله ان تبدوا (ما في أنفسكم) الآية وظهر تأويل من يقول أنه لا يصح تكليف ما لا يطاق. وهذه الآية نظير (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وما جعل عليكم في الدين من حرج فاتقوا الله ما استطعتم»[2].

والتقدير الإعرابي أن نفساً مفعول به أول ووسعَها مفعول به ثان[3]. وهو ما يراه كاتب هذا التذوق. (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

ما كسبت من الحسنات.

---

(١) انظر: إعراب القرآن جـ١ ص ٣٠٥.

(٢) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق.

واكتسبت من السيئات.

(ربَّنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا):

يقول ابن حيان: هـذا على اضمار القول أي قولوا في دعائكم: رَبَّنا لا تؤاخذنا والدعاء مُخُّ العبادة. والمؤاخذة العاقبة[1]».

وما يراه كاتب هذا التذوق أن النسيان هو النسيان على ظاهر اللفظ وأن الخطأ هو خطأ الاجتهاد والتقدير. والنسيان حين يعتري المسلم من الأحوال ما ينسيه الكثير من أعمال الطَّاعات من غير قصد والخطأ حين يكد المسلم ويجتهد ويتبين انه لم يكن مصيباً سواء انكشف له ذلك في الدنيا ام انكشف له ذلك حين يُرفع الغطاء عن العيون يوم القيامة. قال قتادة في تفسير الآية ـ فيما نقله ابن حيَّان: «بلغني أن النبي عليه السلام قال: إن الله تجاوز لأمتي عن نسيانها وخطئها»[2].

وواضح توجيه المسلمين الى الدعاء بهذا الأدب مع الله تعالى أنَّ اللهَ تعالى مستجيب لهم بذلك إن فعلوا. وهذه مِنَّةٌ على أُمَّة محمد ﷺ كبيرة. وهذه مقاصد شريفة لذوي الألباب أنَّ الأبواب مُفَتَّحَةٌ، وأنَّ الدُّعاءَ مستجاب. والشقي الشقي من لم يفعل، أو من حُرِمَ أن يكون من أمَّة محمد ﷺ بعدما كان من تبين أنَّ محمداً ﷺ آمن بالذي أنزل عليه من رَبِّه جميعاً وغيرَ أُمَّته لا يؤمنون بذلك.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا).

الإصر : فرض يَصْعُبُ أداؤه. وهو أحد معانٍ كثيرة أوردها ابن حيَّان. ونسب هذا المعنى الى أبي العبَّاس ثعلب[1].

وهو ما يراه كاتب هذا التذوق. وهو له القرينة الواضحة من القرآن الكريم. فلقد ابتلى الله تعالى الأمم السَّابقة بامتحانات كثيرة فاجتازوا بعضها بصعوبة، والكثير منها فشلوا في الأداء. فلقد امتحن الله تعالى اليهود على عهد موسى عليه السلام بذبح بقرة كمثل ما تحدَّث به الآيات من سورة البقرة:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

---

(١) البحر المحيط جـ٢ ص ٣٦٩.

ولقد امتحن الله النصارى بالمائدة وتوعَّدهم إنْ ضلُّوا بعدها بأشدِّ العذاب.

قال تعالى: إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على سبيل الابتلاء والتعجيز لتكون أخذتهم رابية وليكون أخذهم بعذابهم. فيكون أصحابُ رسول الله ﷺ والمؤمنون من أُمَّته قد هُدوا الى الطيِّب من القول والعمل وأحسنوا الأدبَ مع رَبِّهم فكلفهم من الأعمال ما طاقوا وقصة تخفيف الصلاة من خمسين الى خمس بأجر خمسين في قصة المعراج بين رسول الله ﷺ وربِّه تعالى واستفادة الدروس والعِبر من تجربة موسى عليه السلام وفشلهم (اليهود) في طاعة ربِّهم (إذا كان موسى عليه السلام ومعه التوراة الأصلية قد فشل في حملهم على الطاعات فهل يستطيع شامير

وبيغن وشارون أن يعودوا الى الحقِّ ومعهم التوراة الأكاذيب والأباطيل؟؟؟). ليست بخافية على أحد[1].

يقول أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في صدد تعليقه على هذه الآية الكريمة:

«ولا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه كما حملته على الذين من قبلنا يعني على اليهود والنصارى الذين كُلِّفوا أعمالاً، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا فعوجلوا بالعقوبة»[2].

ويضيف ابن جرير الطبري مُعَقِّباً:

«فأعطيت هذه الأُمَّة خواتيم سورة البقرة، ولم تُعْطَهَا الأُمَمُ قَبْلَها»[3].

بقي أن نشير الى أنَّ آيات سورة الفاتحة التي هي أُمُّ الكتاب في كل ركعة صلاة تقول فيما تقول:

---

(١) انظر في ذلك: اسماعيل بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم جـ٣ (المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٣٧م). ص ص ٢-٢٣. وانظر سيرة ابن هشام المجلد الاول ص ص ٤٠٧-٤٠٨.

لاحظ أنَّ ابن اسحق قد خفَّف النصَّ كثيراً بحيث لم يرد ذكر لبني اسرائيل ونداماتهم وما كان من تقصيرهم وتعاستهم بالمقابل مع أمة محمد ﷺ لسبب لا نعرفه الآن وقد نكشفه في المستقبل.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: محمود محمد شاكر (دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ) جـ٦ ص ١٣٥.

(٣) المصدر ذاته ص ١٤٥.

[اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين] ٦، ٧.

يقول ابن جرير:

«المغضوب عليهم هم اليهود والضالُّون هم النصارى»[١].

[واعفُ عنا. واغفرْ لنا. وارحْمنا] كلُّها درجات على طريق نيل مرضاة الله تعالى.

[أنْتَ مَوْلانا فانْصُرْنا على القوم الكافرين].

دعاء كي يكون الله تعالى مولاهم وناصرهم ضد الكافرين. ومن جمال النسق القرآني الكريم في هذه الآيات أن يكون اللهُ تعالى قد استجابَ هذا الدعاء وصرح بمضمونه حين قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

ألا حِيْنَ يتبيَّنُ المؤمن هذا النسق الكريم وهذا الربط بين الموضوعات والتراكيب والألفاظ وَيَعْبُرُ النصَّ لُغَةً كما يَعْبُرُه إعراباً كما يَعْبُرُه بيَاناً وجمالاً ـ يتبيَّنُ له أيَّ كُنوزٍ قد أُعطيها أتباع محمد ﷺ ولا أقول كنوز الأراضي المقدَّسة والثروات المائية

---

(١) المصدر السابق جـ١ ص ص ١٨٦ ـ ١٩٣.

والمعدنية وهي كثير ولكن كنوز السماء والرضوان. فكيف بعد هذا الوضوح كُلِّه نَظَلُّ من غير ما دولةٍ إسلاميةٍ واحدة تعود الى القرآن الكريم حُكْماً وعِلْماً وحياة ونُشورا؟! فهل تعي هذه الأُمَّة هذه المدلولات قبل فوات الأوان؟.

والحمد لله أوَّلاً وآخراً.

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٨٤/٩/٣٨٠

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ ابن حيَّان الأندلسي، اثير الدين: البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة: (الرياض).
٣ ـ ابن كثير القرشي، اسماعيل: تفسير القرآن العظيم (المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٣٧م).
٤ ـ ابن النحاس، ابو جعفر أحمد بن محمد: إعراب القرآن تحقيق د. غازي زاهد (مطبعة العاني، بغداد: ١٩٧٧م).
٥ ـ ابن هشام، ابو محمد عبد الملك: السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه (دار الكنوز الادبية).
٦ ـ البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري (دار القلم: دمشق ـ بيروت: ١٩٨١م).
٧ ـ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (دار الجيل: مصَّور عن طبعة الآستانة. المطبعة العثمانية ١٣٢٩هـ).
٧ ـ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (دار الجيل: مصَّور عن طبعة الآستانة. المطبعة العثمانية ١٣٢٩هـ).
٨ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: محمود محمد شاكر (دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ).
٩ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (دار احياء التراث العربي، بيروت: ١٩٦٥م).

المراجع

١ ـ ابـراهيم السَّامـرائي: الفعل: زمـان وأبنيته. ط٢ (مؤسسـة الرسـالة ـ بيروت: ١٩٨٠م).
٢ ـ محمـد علي أبو حمـدة: في التذوق الجمـالي لمعلَّقـة امـرىء القيس (دراسة نقدية إبداعية) (مكتبة الأقصى، عمَّان: ١٩٨٧م).
٣ ـ محمـد علي أبو حمـدة: من أساليب البيـان في القـرآن الكـريم ط ٢ (مكتبة الرسالة الحديثة، عمَّان: ١٩٨٣م).
٤ ـ مصـطفى الغلاييني: جـامـع الـدروس العـربيـة جـ١ ط ١٢ (المكتبـة العصرية، صيدا ـ بيروت: ١٩٧٣م).
٥ ـ تفسير الجلالين: (مطبوعات دار مروان ـ دار العربية).

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة بين الطائيين ط٢ .

٢ ـ النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري ط٢ .

٣ ـ الأمثال العامية الفلسطينية ط٢ .

٤ ـ الفكر الإسلامي وطرائق النقد الأدبي ط٢ .

٥ ـ في ظلال الفكر الإسلامي ط٢ .

٦ ـ نحو رؤية إسلامية ط٢ (تحت الطبع) .

٧ ـ الطريق إلى الجامعة (نقد) .

٨ ـ في النقد الأدبي التطبيقي (نقد) .

٩ ـ ضفائر من تراثنا الشعبي .

١٠ ـ من أساليب البيان في القرآن الكريم ط٢ .

١١ ـ فن الكتابة والتعبير ط٢ .

١٢ ـ في التذوق الجمالي لـِ «بانت سعاد» لكعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ ط٢ .

١٣ ـ في التذوق الجمالي للآية القرآنية الكريمة [إنما مثل الحياة الدنيا. . الآية] ط٢ (تحت الطبع) .

١٤ ـ في التذوق الجمالي للآيات العشر الأولى من سورة الإسراء .

١٥ ـ في التذوق الجمالي لخطبة النبي ﷺ في حِجَّة الوداع .

١٦ ـ في التذوق الجمالي لخطبة زياد ابن أبيه (الخطبة البتراء) .

١٧ ـ في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمورية .

١٨ ـ في التذوق الجمالي لقصيدة أبي الطيب المتنبي «على قدر أهل العزم تأتي العزائم» .

١٩ ـ في التذوق الجمالي لما اشتمل على ذكر العربية واللسان العربي المبين من آي القرآن الكريم.

٢٠ ـ في التذوق الجمالي لمناظرة أبي سعيد السِّيرافي وأبي بشرمَتَّي بن يونس.

٢١ ـ في التذوق الجمالي لسورة يوسف عليه السلام ط٢ (تحت الطبع).

٢٢ ـ في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفري ط٢.

٢٣ ـ في التذوق الجمالي لمعلقة امرىء القيس.

٢٤ ـ في التذوق الجمالي لهمزية حَسَّان بن ثابت حول فتح مَكَّة.

٢٥ ـ في التذوق الجمالي لقصيدة أبي فراس الحمداني في الأسر.

٢٦ ـ في التذوق الجمالي لقصيدتي المتنبي:
(مالنا كُلُّنا جَو يا رسولُ...)
و(ملومُكُما يَجلُّ عن المَلامِ...) في الحُمَّى.

٢٧ ـ المسجد الأقصى المبارك وما يهَدِّدُه من حفريات اليهود.

٢٨ ـ مباحث في الهجمة اليهودية على الطابع الإسلامي لمدينة بيت المقدس.

٢٩ ـ الأخطبوط الصهيوني رأي العَين.

٣٠ ـ الدَّاني في مهارات اللغة العربية.

٣١ ـ الأردن والمعالم الثقافية.

٣٢ ـ في العبور الحضاري لكتاب شرح قطر النَّدى وَبَلِّ الصَّدى لابن هشام الأنصاري.

٣٣ ـ في التذوق الجمالي للآيات الثلاثين خواتيم سورة البقرة مع تركيز الإضاءة على آيات الرِّبا في النَّسق القرآني الكريم.

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية:

١٩٨٤/٩/ ٣٨٠